الدكتور/سـليمان بن عبد الله العقيل
أستاذ علم الاجتماع ـــ قسم الدراسات الاجتماعية ـــ جامعة الملك سعود ـــ الرياض.

alakeel99@hotmail.com

* هذه عبارة كتبت في أروقة بعض الكليات في الجامعة وعلى بعض المقاعد فيها . في محتواها الكثير من المعاني التي تحتاج إلى المناقشة والوقوف عندها.

بســـــــم الله الرحمن الرحيـــــــم

الموضوع الأول

في معالم اللحمة الوطنية

بعد الأحداث الأخيرة في عام ٢٠٠١م، أعطيت مجازاً، للكثير أن يتحدث عن ما يشاء وقت ما يشاء وكيف ما يشاء في العالم كله، وهذه ولا شك خلخلة في الفكر والبناء الاجتماعي والنفسي والأمني والذهني وغيره لكل من يسكن الكرة الأرضية. قاد هذه الخلخلة اليهود ومن وراءهم وهم بهذه الحركة يحاولون تحريك السكون الذي يلف العالم الثالث وخصوصا العالم الإسلامي ليتخذوا منهم أهدافا وضحايا وبذلك يزيد تسلطهم وتفرض قواتهم الأمن والسلام في العالم ! ! !. وهذا شيء لا يمكن أن يكون إلاّ، كما قلنا، بخلخلة البناء وتفريق الحِزم الوطنية سواء كان ذلك عن طريق تقسيم المجتمعات إلى مع وضد ، أو خلخلة المقومات الداخلية للبناء الوطني من خلال التقسيمات العرقية أو المناطقية أو الطائفية أو الاتجاهات الحديثة والقديمة أو المتدينة والليبرالية أو من خلال المواقف من قضايا عامة قابلة للاختلاف في كل وقت وحين مثل قضايا المرأة والديموقراطية ووسائل الحرية أو مفهوم حقوق الإنسان أو غير ذلك من مستجدات الحياة الاجتماعية، أو القضايا ذات الخلاف المزمن. كل ذلك حتى يكون من هذه القضايا والاختلاف فيها (والاختلاف ظاهرة مشروعة)هدف ظاهر لهم في التدخل بقصد القضاء على الإرهاب والتطرف، وذلك لأن التطرف يعني الخروج عن سيطرتهم أو على اصح الأقوال مجرد التفكير العملي في ذلك. من أجل ذلك تخلق الأسباب وتحشد الشواهد وتجند الجنود في الداخل قبل الدخول للخارج، وتربط القضايا ببعضها من غير رابط،

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولعل المعطيات السابقة الذكر كافية لتكون محققة للهدف. ومن هنا تبرز أهمية اللحمة الوطنية والسعي الحثيث إليها بل ومطالبة الجميع بأن تكون هدف وطنيا وأمنيا واستراتيجيا. ومن معطيات هذه اللحمة،

أولاً: التعاون على البر والتقوى وعدم التعاون على الإثم والعدوان. وهذا المعطى يعني:

(١) واسع المعنى متعدد الجوانب يشمل كل مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية والسياسية وغيرها.

(٢) ويتضمن هذا المعطى عدم التفرق حتى لا تذهب هيبة المجتمع وقوته ويكون لقمة سائغة لمن يطمع فيه. ويتضمن أيضاً(٣)عدم الضعف والاستكانة والخنوع والبحث عن الملجئ الآمن لدى العدو كائنا من كان، على مستوى الفرد والجماعة والمجتمع.

ثانياً: من معطيات اللحمة وصف النبي صلى الله عليه وسلم المجتمع المتكافل المتحاب المتراحم الذي لا يمكن أن يُخترق من قبل العدو في أي زمان أو مكان. ويحتوي هذا المعطى على:

(١) وصفه صلى الله عليه وسلم المجتمع بأنه المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا (٢) وكالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر. ويتضمن هذا المعطى أيضا

(٣) إنكار الذات في سبيل المصلحة العامة " مصلحة المجتمع، الناس، الوطن، الدين، من هو غيرك قد يكون أحوج منك". ويتضمن هذا المعطى أيضا

(٤) الحرص على العيش الآمن مع من تختلف معه في الشكل وفي الفكر والعادات والتقاليد والعرق واللون وغير ذلك. لأن المظلة التي تحمي الجميع هي الإسلام حيث لا اختلاف. والمجتمع السعودي في القديم والحديث قد سمح التعدد والتنوع العرقي والمناطقي والطائفي وعاش الأباء والأجداد في هذا التعدد، لأنه مصدر قوة وأكثر صلابة وتبرز فيه سماحة وحكمة الإسلام " ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة". ويتضمن هذا المعطى أيضا

(٥) الحماية من الجميع للجميع، بمعنى أن الأمن للجميع ومناط بالجميع، والأمن هنا بمعناه الواسع النفسي والفكري والعقدي والاجتماعي، وأمن المال والحياة وغير ذلك. كما يتضمن هذا المعطى

(٦) التجنيد والدفاع وذا يعني أن الكل جنود وحماة للوطن. فالدين والوطن ليس ملكاً لأحد دون أحد، أو أن البعض يحق له التجنيد والدفاع لصالح الدين والوطن ولبعض الآخر لا يحق له بل أن هذه مسئولية الجميع، غير أن المهام المناطة بكل شخص تختلف عن الآخر، بحسب الأولويات والقدرات والحاجات وهذه المسائل مناطة بقيادة المجتمع، وهي مقدرة بحسب المقام والحال والزمان.ومن معطيات اللحمة الوطنية. ثالثاً: المسئولية الوطنية. وتعني الحقوق والواجبات، بمعنى أن الفرد في المجتمع له حقوق وعليه واجبات وتأديتها مناطة بالفرد لأن الرقيب هو الله سبحانه وتعالى، فلا يعني أن الفرد حينما لا يستطيع أن يأخذ حقوقه عليه أن يقصر في واجباته بناءً على ما أخذ من حقوق. كما أن المسئولية الوطنية تقتضي العمل على تحقيق العدالة بين أفراد المجتمع كل فيما يخصه سواء كان ذلك في المدرسة أو الجامعة أو المنزل أو المحل التجاري أو الشارع أو أ يمكن، لأن هذه المسئولية من الفرد وإليه فهو في حين يعطيها الأخر وفي الحين الأخر يطلبها من الأخر، لذا فهي مطلب الجميع في الحياة اليومية لأفراد المجتمع، كما أنها مسئولية ملقاة على عاتق الفرد يوم القيامة حيث أنه مسؤول عما فعل.رابعاً: من مقتضيات اللحمة الوطنية الالتزام بالثوابت الوطنية التي قام عليها هذا الكيان العظيم. نحن نعلم أن هذا الكيان حين قيامه

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قام على الإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة، وعلى مجموعة من المبادئ والقيم الاجتماعية التي حفظت للمجتمع تماسكه ووحدته (ولو كانت في كيانات صغيرة متفرقة، غير أن القيم الاجتماعية لم تختلف كثيرا بين الكيانات، وهذه من عوامل الوحدة) كما نعلم أن آبائنا وأجدادنا ماتوا في سبيل تحقيق هذه الوحدة على أساس الثوابت المذكورة آنفا، ومن أجل أن يقدمها لنا لنهنأ بطيب العيش في نعمة الإسلام والأمن والأمان والوحدة الوطنية الشاملة. لذلك فمن مقتضيات الوحدة الوطنية التأكيد على هذه الثوابت وتركيزها في النفوس وتقديمها على النفس لأنها الشعار الوطني الذي لا يمكن التخلي عنه بأي حال من الأحول ((هكذا تعلمنا من آباءنا، وهكذا نعلم أولادنا)).

خامساً: من معطيات اللحمة الوطنية الشعور بالاعتزاز بهذا الوطن وبما يحمل من دين وسماحة وتراث إسلامي عريق، وبما يحمل من معطيات اجتماعية أكثرها تدعو للتماسك والوحدة وتنبذ الفرق والتشذرم والتراث الشعبي بما يحويه من القصص والمثل والشعر يوحي لنا بهذا بشكل لا يدع مجالا للشك في عظمة هذا التراث الذي هو نسخة محلية من القيم الإسلامية. لذلك فإن من يرى أن القيم الغربية بما تحمل من جمال في بعضها وفاعلية في بعضها الآخر، لا يعلم أن هذه القيم الغربية لم تكن جملية إلاّ حينما فعّلت في الواقع الاجتماعي واكتسبت القبول الاجتماعي بالتوحد حولها. كما يمكن القول أن القيم الشعبية لمجتمعاتنا التقليدية كانت تحمل نفس المعنى واكتسبت جمالا وقوة حين فعّلت في الواقع الاجتماعي ولتف الأفراد حولها، هذا ما كان موجودا في الكيانات الاجتماعية الصغيرة في مجتمعنا قبل التوحيد، وما كنا نراه في قرانا أيام الصغر، وما هو موجود الآن في بعض الصور الاجتماعية المتفرقة. إن الوحدة الوطنية تعني الشعور بالوحدة والمسئولية وأن كل فرد منا على جانب مهم من جوانب المجتمع، بكل ما يحوي المجتمع من معطيات ومعاني متعددة، فلا يعطي الدنية في دينه ولا في وطنه ولا في مجتمعه مهما كان الثمن الدنيوي. وأن نعلم ونتعلّم وننقل هذه المعاني للأجيال القادمة أن الوحدة هي القوة وأن الخلاف مع العدو وأن أمن البلاد مناط بنا .والوحدة الوطنية تعني الحفاظ على الأمن بمفهومه العام الشامل بمعنى أن الفساد الديني والخلقي والإداري والمالي والشخصي وغير ذلك يعد من عوامل الضعف والتفرق ويهدد الأمن الوطني بمعناه العام. واختم المقالة بالبيت الشعبي يحث يقول الشاعر الشعبي

يا أهل الديرة اللي طال مبناها ما ديرة حماها طول حاميها

إن كان ما تفزع اليمنى ليسراها ترى ما وطأ ذيك واطيها

وهذا البيت يجب أن يفهم بمعناه العام الواسع لا بخصوصية البيت التاريخية والجغرافية

الموضوع الثاني

المواطنة ... الوظيفة والدور

يعيش الفرد في مجتمعة وعلى تراب أرضة وينتفع بالكثير من خيراتها، وتحفظ كرمته، وكيانه، وهويته، وتعلمه الكثير من مستلزمات الحياة من خلال سلسلة من المعطيات على مستويات مختلفة منها ما يختص بالأسرة ومنها ما يختص بالجماعة ومنها ما يختص بالمجتمع. وتأتيه في قوالب مقبولة، ومحسنة، ومشوقة، وممزوجة بالمعطيات التراثية والاجتماعية والنفسية وغير ذلك. من أهم وأبرز المعطيات العقيدة الإسلامية

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصحيحة التي كان عليها محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم وما كان عليه سلف الأمة. ومن المعطيات الشعور بالانتماء والإحساس بالأمن والعيش في بحبوحة، قلما توجد في المحيط المعاش.

كل هذه الفوائد، والبعض لا يعي ما لواجب عليه كفرد فاعل في المجتمع سواء كان فردا مسؤولا أو شخص عادي من بقية أفراد المجتمع، وما المهمة الملقاة على عاتقه ويتوجب عليه الاهتمام بها ؟. تلك المهمة هي المواطنة والدور والوظيفة المناطة بالفرد لتحقيقها . ورغم أني أعلم أن الكثير يدعي المواطنة الحقه. ويشعر البعض أن الحديث عنها نوع من المزايدة الاجتماعية أو التملق أو الترف الفكري لأن الموطنة جزء من الناس (كما يظن البعض) والكتابة فيها أو الحديث نوع من البحث في المتفزيقا .

وحتى نتعرف على المواطنة من خلال الدور والوظيفة، فيجدر بنا الحديث عن التعريفات العلمية لهذه المصطلحات التي تحقق معنى المواطنة على المستوى الفكري والنظري.

يرى علماء الاجتماع أن الوظيفة هي النتيجة أو النتائج المترتبة على نشاط أو سلوك اجتماعي. ومن المعلوم أن النشاط أو السلوك الاجتماعي مرتبط بالقيم الاجتماعية ومعتقد وتراث المجتمع، لذلك فإن المعنى للنشاط أو السلوك الاجتماعي الذي يقوم به الفرد أو الأفراد في المجتمع، حينما يحاولون تحقيق هدف اجتماعي معين، وهم بذلك يفعلون ويتفاعلون مع الآخرين ومع البيئة المحيطة بوعي أحيانا وبغير وعي في أحيان أخرى والمحرك لهم في تفاعلهم هو مصلحتهم، ومصلحة من حولهم. والوظيفة هي محصلة النتائج من هذا التفاعل بين الفرد ومن حوله، سواء كانت سلبية أو إيجابية.وترتبط الوظيفة للفعل الاجتماعي بالأنماط الثقافية والبناءات الاجتماعية والاتجاهات داخل المجتمع. وهي بذلك لا تخرج عن مسيرّات المجتمع ومحركاته الأساسية، فالمجتمع السعودي مثلا يضبطه ويحركه الدين الإسلامي ومجموعة من الأفعال الاجتماعية المتوارثة في شكل قيم وعادات وتقاليد اجتماعية محددة بحدود المكان والفترة التاريخية وجملة من العوامل الأخرى المساعدة. وبذلك يكون لهذه النتائج تأثيرا واضحا على بناء الموقف أو النسق أو التفاعل بين الأشخاص.وفي المنظر الآخر للوظيفة نجد أن (رادكليف براون) يعدها محصلة العلاقات المتبادلة بين مختلف العناصر في الثقافة وهدفها التعبير عن وحدة الثقافة من خلال تتبع التداخل بين السمات والأنماط الثقافية لبناء المجتمع وتنظيمه، فالثقافة (وهي الإسلام كعقيدة وشريعة وطريقة حياة في المجتمع العربي السعودي) القوية التي تعتمد في قوتها واستمرارها على مادة حية لها القدرة على التغلغل في ذات ووجدان وروح وفعل وسلوك الأفراد، بالضرورة يكون البناء فيها متماسك وتكون العلاقات المتبادلة بين أجزائها قوية ومتماسكة أيضا، وتعبير عن الوحدة والشعور القوي بالانتماء .

فالمواطنة تعني السلوك والنشاط الاجتماعي الصحيح الهادف للتنمية والوحدة والأمن بمعناه العام، وملاك ذلك كله الالتزام بالسلوك الإسلامي الذي أقره النبي صلى الله عليه وسلم. والوظيفة تلك النتائج المترتبة على ذلك الالتزام بالسلوك الصحيح.

وهنا يمكن القول أن الدور المناط بالمؤسسات الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية في المجتمع، هو تنمية ذلك الشعور المراد بالتنمية والوحدة الوطنية والتأكيد على الجميع أهمية ذلك من خلال جملة من الممارسات منها ما يكون مناط بالأفراد ومنها ما يكون مناطا بالمؤسسات الاجتماعية الرسمية. والاعتماد على الوسائل المتعددة في التأكيد والنشر لهذا الشعور بالوطنية وأهمية الانتماء .والدور يعني أيضا أنه وضع اجتماعي معين يتميز بمجموعة من الصفات الشخصية والأنشطة التي تخضع لتقييم معياري من قبل أفراد المجتمع.وهذا يعني أن الدور الذي

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقوم به الأفراد في المجتمع، سواء كان دور سلبي أو دور إيجابي، خاضع لتقويم المجتمع من خلال مجموعة من المعايير الاجتماعية التي يوفرها المجتمع لمحاكمة سلوك وأفعال وتصرفات الأفراد والجماعات والمجموعات الاجتماعية، وذلك وفق الفكرة الاجتماعية الرئيسية ولعلها الوحدة والشعور بالانتماء أو (الوطنية). وفي المنظر الأخر نجد أن (لينتون) ينظر للدور على أساس أنه الظهور الدينامي للمكانة الاجتماعية، والمكانة هي مجموعة الحقوق والواجبات. وهذه الحقوق والواجبات قررها المجتمع في حق الجميع وفق مجموعة من الإجراءات التي ارتضاها أفراد المجتمع. غير أن البعض من أفراد المجتمع قد يتخذ من هذه المكانة منطلقا لتمرير بعض الأفكار أو التصرفات أو السلوكيات التي يعلم هو قبل غيره أنها غير مقبولة وقد تنافي معطيات المجتمع الدينية والثقافية، ولكن لكونه في مكانة اجتماعية معينة مخول من قبل قيادة المجتمع الدينية أو الفكرية أو السياسية أو الاجتماعية، فإن ذلك،، يرى تمرير هذه الأشياء دون مراقبة أو محاسبة، وهو بذلك أول من يقدح في أمانة نفسه وشرعية مكانته وفي حقوقه وواجباته.

يرى البعض أن الدور الذي يقوم به بعض الفعاليات الفكرية والاجتماعية لا يخدم حركة المجتمع واحتياجاته المستمرة في مجال التوجيه والقيادة الفكرية والاجتماعية والدينية وانصرفوا عن وظيفة التنوير والإبداع والنقد الهادف البناء إلى وظيفة قد يستفيدون منها لمرحلة مؤقتة من حياتهم في تثبيت أسمائهم وقضاء مصالحهم الشخصية. هذه الوظيفة تكمن في التبرير، والتسويغ، والتأطير للوقائع الاجتماعية والأحداث لما يرونه في الاتجاه الصحيح للمجتمع مع معرفتهم بإمكانية عدم الصلاحية أو عدم الملائمة للواقع الاجتماعي المعاش في هذه الفترة التاريخية أو تلك.

إن الوحدة الوطنية لها وظيفة اجتماعية مهمة في توحيد القوة البشرية والفكرية والتراث التاريخي والنفسي حول معتقد واحد وفكرة سليمة واحدة وحول قيادة سياسية واجتماعية ودينية واحدة مؤداها الاستمرار في تنمية وتوازن المجتمع وأمنه ورفعته والتباهي بهذه الوحدة. كما أن للوطنية دور في الشعور بأهمية العمل الذي يقوم به كل فرد لذل فإن المراقبة للفعل الذي يقوم به مناط بذات افرد (مرقبة الله تعالى فيما يفعل) ثم مناط بمراقبة أفراد ومؤسسات المجتمع الرسمية وغير الرسمية ومحاسبة كل من لا يقوم بدوره بالشكل الصحيح وعدم توسيع الفجوة بين الفكرة والتطبيق أو استمرار السلبية في التعامل مع قضايا المجتمع العامة وعرضها ومناقشتها بكل شفافية بغية مصلحة دين وكيان وتماسك واستمرار المجتمع في الوجهة الصحيحة وعلى أسس سليمة. وبالتالي الشعور الوطنية والانتماء. كل ذلك يمكن أن يتم بمعرفة وداخل المؤسسات الاجتماعية الرسمية وشبه الرسمية وينعكس أثره على المؤسسات غير الرسمية مثل الأسرة والعائلة والفخذ والقبيلة والحي والقرية وغير ذلك من التجمعات الاجتماعية الفاعلة، ويمكن أن تتحقق الوظيفة ويفعل الدور الاجتماعي للوطنية الحقه، كما تحققت الوحدة الإسلامية في المجتمع الإسلامي الأول بكل معانيها الصادقة مع الفارق الزماني والمكاني.

الموضوع الثالث

القراءة الخاطئة لقضايا المجتمع السعودي

يزعم البعض أنهم يعرفون القضايا الاجتماعية في المجتمع العربي السعودي ، وأنهم خبراء في دراستها وتحليلها واستخراج النتائج المهمة، وذات المعاني العميقة من تلكم الخبرة والدراية، سواء كان ذلك من خلال المعرفة الكيفية أو المعرفة الكمية أو في أبعادها التاريخية والثقافية أو

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الاجتماعية. وفي الغالب تكون تلك المعرفة من خلال استعراض بعض الخبرات الشخصية أو مسار حياته، أو المعرفة المحدودة، والضيقة حول قضايا المجتمع، أو من خلال استعراض ما في المجتمعات الأخرى على أساس أنها صور متكررة لقضايا اجتماعية متشابهة مع الاختلاف الزماني والمكاني والثقافي والتاريخي والديني، أو غير ذلك من محدودية المعرفة وتضخم الذات. هذا الزعم والتباهي يوقع الفرد ومجتمعه في حرج أمام المجتمعات الأخرى، أو حتى أمام محدثيه من أبناء المجتمع نفسه لأن الحديث عن الظواهر،والمشكلات، والقضايا الاجتماعية المختلفة ليس وليدة خبرة شخصية أو تجارب عملية أو معلومات تاريخية فقط، ولكنها مجموع ذلك كله مضافا إليه الخبرة العلمية والأكاديمية والإحصاءات الرسمية الموثوق بها والصادرة من جهات رسمية و العديد من البحوث والدراسات ذات السمعة العلمية الجيدة الصادرة من باحثين موثوق من دينهم وفكرهم وتوجهاتهم، ومن ثم قدرة المتحدث على توظيف ذلك كله لما يخدم الفكرة الأساسية من النقاش، أو البحث، أو الدراسة، أو العرض لمحتويات المجتمع، ويكون ذلك خدمة للدين والوطن فيما يجتهد فيه المتحدث أو الباحث.

وفي هذا السياق يمكن القول أن المجتمع السعودي لا يزل بكرا في جانب الدراسات البحوث التي لابد وأن تجرى على نطاق واسع وتشمل كل قطاعات المجتمع وفئاته، بل والبناء الاجتماعي بمكوناته من أنساق ونظم اجتماعيه متعددة. من شأن هذه الدراسات أن تعطي فهملا لبناء المجتمع السعودي بالعوامل الضابطة فيه والعوامل المحركة والدافعة والمثبطة وغير ذلك مما يقتضيه مجتمع متجدد يمر بمرحلة من التحول التاريخي النوعي في محتوى ثقافته ومعرض للكثير من التغيرات الكثيرة نتيجة الانفتاح على المجتمعات الأخرى ذات الثقافات المغايرة، ومن ثم يأتي دور التحليل والتنظير للكثير من مستجدات العصر وتأثيرها على مجرى الحياة الاجتماعية اليومية لأفراد المجتمع وكذا عمل المؤسسات الاجتماعية المتعددة.

إن الحديث عن المجتمع السعودي، لدى البعض، قد يرتبط بظواهر ومشكلات ونظم في المجتمعات الأخرى ويكون هذه المجتمعات، في الغالب، أوروبية أو أمريكية أو مجتمعات منفتحة ذات عرقيات وديانات متعددة، وبذا لا يصلح التوحد الثقافي والديني والسياسي فيها لأنها في الأصل متنوعة وكل يعمل على شاكلته، لذا فإن هامش الحريات (الفوضى)الشخصية مرتفع أكثر ممن المجتمعات ذات التوحد . أقول تكون تلك الفكرة في ذهن المتحدث أو الباحث فلا يرى سوى ما ذكرنا نموذجا يحتذى، وهو بذلك يحكم على المجتمع وبفترة تاريخية طويلة من تراثه وثقافته بالإعدام أو بعدم الصلاحية وبذلك يكون من المضل وهو يظن أنه مصلح.لذلك يمكن القول إن البحث في جوانب المجتمع العربي السعودي يقتضي الاهتمام بالكثير من القضايا المهمة والتي يجد بالباحث أو المتحدث في شأن المجتمع العربي السعودي مراعاته. من تلك القضايا، يحتاج الباحث أو المتحدث إلى (١) الاستعراض التاريخي والموضوعي لأسباب هذه الظواهر بعيدا عن الانطباعات الشخصية أو الآراء الفردية المتكونة من خبرات في مواقع اجتماعية أو مهنية تكون أساسا للحكم على الأشياء أو إعطاء تعميمات شاملة ومطلقة على المجتمع بعامة (٢)بيان حالة المجتمع الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والأساس الديني الذي قام عليه المجتمع، وتأثير ذلك كله على بروز بعض الظواهر واختفاء الكثير من الظواهر السلبية الأخرى (٣) دور الأسرة والوحدات الاجتماعية المساندة في مستوييها الرسمي وغير الرسمي في عمليات التنشئة والضبط والسلوك الاجتماعي المرغوب (٤) استعراض عوامل إحداث التغير الاجتماعي، والعوامل المصاحبة له، والعوامل التي تقف في سبيله، وقوته، ونوعه، واتجاهاته، ومدى تأثيره على بنية المجتمع، الرؤى المستقبيلة لآثاره (٥) نوع، وقوة، وفعالية الضوابط الرسمية التي اعتمدتها قيادة المجتمع في محاولة المحافظة على الثوابت الأساسية التي قام عليها المجتمع (٦) عدم التعميم عند الحديث عن

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الظواهر السلبية للمجتمع (إلاّ في إطار الحديث من خلال الدراسات المسحية الشاملة التي تأخذ في الاعتبار كافة شرائح المجتمع وفئاته)،على اعتبار أن المجتمع السعودي يعد من المجتمعات الأكثر توازنا في مجمل صور الحياة الاجتماعية بما تحويه من مخزون ثقافي وتاريخي وديني، وحين يكون التعميم دون شواهد وحقائق ثابتة على ذلك فإن ذلك مدعاة لفقد التوازن في النظرة للمجتمع. وفي الجانب الأخر تحميل المجتمع بعض القضايا التي لا يحتملها بحكم ما لديه من مخزون ديني وثقافي في كل الاتجاهات (٧) الاعتماد قدر الإمكان على البيانات والإحصاءات الرسمية، والبحوث والدراسات ذات الأهداف المجتمعية النبيلة السامية (لأن هناك الكثير من الأبحاث والدراسات والتقارير والمعلومات ذات الأغراض المشبوهة والتي يقوم بها بعض الأفراد أو الجهات ذات التوجهات المغايرة) وذلك لتبيان بعض الجوانب دون التعميم لنتائج هذه البحوث والدراسات أيضا، إلاّ أن تكون دراسات مسحية شاملة على المجتمع أو من المسح بالعينة وفق ضوابطها العلمية المتعارف عليها (٨)أن يكون الحديث أو البحث نوع من المناصحة والتوجيه والإرشاد بالإضافة إلى كونه استعراض لحقائق وحوادث اجتماعية تحتاج إلى المكاشفة والعون على تجاوزها، وذلك من منطلق أن الوطن للجميع وبحكم المعرفة والدراية فإن الواجب يحتم البحث في قضايا المجتمع واستعراض الواقع بكل ما يحمل من معطيات وعرض الحلول الممكنة أو طرق المعالجة أو التعليق على المعطيات. وفي الجانب الأخر من منطلق الحديث الشريف الذي يدور معناه حول "كل منكم على ثغرة فالله الله أن يؤتى منها" وهذا الحديث يفهم بمعناه الاجتماعي لأن الأمن جزء واحد لا يتجزأ.(٩) أن المجتمع السعودي يمر بمرحلة من التحول الكبير في جميع وجوه الحياة الاجتماعية وذلك بتأثير عمليات التنمية، والاتصال مع المجتمعات الأخرى بثقافاتها المغايرة، وبتأثير المنتجات الثقافية لمجتمعات وثقافات أخرى، وقوة البث الإعلامي والغزو الفضائي وتأثير ذلك كله على المعطيات لكل المجتمعات. لذلك فإن قضايا المجتمع سوف تكون أيضا متغيرة ومتحولة على وزن و شاكلة التحول العالم في الحياة الاجتماعية. (١٠) التأكيد على الأساس الذي قام عليه المجتمع، واستمرار خط التنمية على هذا النهج. ومدى تأثير ذلك الالتزام بالأساس وقوة تأثيره في الحياة الاجتماعية، وفي المستوى الرسمي والشعبي، حتى أن المجتمع السعودي بدأ وكأنه (للأخر) تجربة جديدة ونموذج فريد في صياغة كيانه واستمرار استقراره وأمنه رغم التغيرات العنيفة التي تعرّضت لها مجتمعات العالم الثالث والدول النامية، حيث مرّ المجتمع السعودي خلال تلك التغيرات دون أن يفقد مقوماته الأساسية كمجتمع وثقافة.

الموضوع الرابع

الاختلاف بين الأجيال في المجتمع السعودي

إن المجتمع العربي السعودي عبارة عن مجموعات سكانية متناثرة في بقعة جغرافية كبيرة تقوم بين تلك المجتمعات مجموعة من العلاقات المتينة ذات الأبعاد الاجتماعية المتعددة مثل البعد القرابي والفئوي والعرقي والاقتصادي (رغم ضعف الجانب الاقتصادي) والمناطقي، وغير تلك الأبعاد التي تسيّر الحياة الاجتماعية على وتيرة واحدة أو على نمط معين من أنماط الحياة القلقة وغير المستقرة والتي تفتقر للكثير من مقومات الحياة المريحة والمنتجة والواعية. ومنّ الله سبحانه وتعالى على هذه البقعة من العالم بنعمة الإسلام وبنعمة التوحيد بنوعية حينما قيض الله لها الملك عبد العزيز فوحدها من الناحية الجغرافية والعقدية. وبدأت بعد ذلك مسيرة التنمية بأشكال مختلفة وبأحجام متنوعة، بدأً بالتوطين وانتهاء بما نحن فيه من نقلة نوعية في عمليات التنمية بأنواعها الاجتماعية والاقتصادية والتنظيمية والإدارية والصناعية وغيرها.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذه التنمية خلقت واقعا اجتماعيا مميزا ومختلفا عن ما كان عليه المجتمع قبل التنمية والتوحيد، فمع انتشار الأمن، والتعليم، والانفتاح المجتمعي وكثرة وتنوع الأعمال بدأت الأسر والتجمعات الاجتماعية الصغيرة، بأفرادها، تخرج من واقعها الضيق في كسب العيش إلى واقع ارحب وأوسع مجالا للعيش ولإثبات الذات وتنمية القدرات الذاتية وإبراز الفروقات الفردية وتحقيق الطموحات الشخصية. من هنا بدأ الفرق واضح بين ما كان عليه الآباء وبين ما عليه الأبناء من اختلافات في وجهات النظر حول الكثير من مسائل الحياة الاجتماعية، من تلك الأمن بمفهومه الضيق لدى الأباء، وبمفهومه الواسع الشامل عند الأبناء، ومنها نظر الأباء الضيق لحجم أنفسهم في محيطهم الاجتماعي والبيئي، ونظرة الأبناء لأنفسهم من خلال النظرة الكلية للعالم.من هذه الاختلافات تبدو الفجوة فجوات صغيرة في مواطن متعددة من الحياة الاجتماعية. لذلك فقد حاولنا تقليص هذه الفجوة إلى مجموعة من الفجوات الإجرائية لنتمكن من مناقشتها وتسليط الضوء عليها لمن يريد الاستفادة والتفاعل معها . ومن المفيد القول أن الاختلافات التي سوف نتحدث عنها لا تعني إطلاقا أن هناك تصدعا حقيقيا في بنية الأسرة السعودية أو تغيرا جذرا يقلب مفاهيم ورؤى وتراث الأمة رأسا على عقب، إنما تعني هذه الاختلافات بين الآباء والأبناء (١) إن قيم الحياة الاجتماعية قد تم إعادة ترتيبها بما يتوافق مع المعطيات المادية والمعنوية للحياة الاجتماعية الجديدة.(٢) إن ما يمتلكه الآباء من خبرات كثيرة وقيمة حول الحياة الاجتماعية، قد لا تفيد في مقتضيات الحال للحياة الحاضرة (ولا نعني هنا دور الدين في الحياة أبدا، لأن هذه القضية محسومة في أصل العقيدة) . (٣) أن منطق الحياة الاجتماعية وتراتبها وسرعة إيقاعها يختلف عما كانت علية في حياتهم. (٤) إن التوسع في جانب التعليم والانفتاح المجتمعي والاتصال الثقافي بين المجتمعات أكثر منه لدى الجيل السابق مما يعطي جانبا أخر من التنوع والتلون في الحياة الاجتماعية.(٥) إن عمليات النقل والاستعارة والاستقلاب الحضاري من مجتمعات وثقافات مغايرة بمحتوياتها، لم تتوفر للجيل السابق بحجم وتنوع هذا الجيل.لذلك يرى البعض أن هناك فجوات متعددة وعميقة بين جيل الآباء وجيل الأبناء . ولأن مفهوم الفجوة عميق جدا ولا يصلح استعماله ليكون بين الآباء والأبناء، فإنني أرى أن مصلح الاختلاف بين الآباء والأبناء هو الأكثر والأقرب، لأن أبناءنا يعيشون معنا وجزء منا كما أنهم امتداد لثقافة هذا المجتمع ودينه وتراثه، لذلك يمكن أن يحدث نوع من الاختلاف في وجهات النظر وفي الرؤية وفي طريقة استقبال الحياة وتعامل معها، وفي بعض مستجدات العصر، غير أن المهم هو أن الأصل ثابت وهم فرع من أصل.ولا يمنع هذا الالتحام بين الأباء والأبناء من اختلافات تعكس الفارق العمري والزماني والثقافي بينهم. وموضوع الاختلافات بين ثقافة الأباء والأبناء .ينحصر في المعطيات والتوجهات والآراء والممارسات بناء على المعطيات السابقة، والتي توجد سلوكا يبدو في الظاهر أنه مخالف أو بينه وبين ثقافة المجتمع فجوة واضحة، غير أن الأمر لا يكون كذلك، فواقع الأمر يعني أن طريقة استقبال الحياة والتفاعل معها يختلف بينهما، وهنا يبدو للبعض أن هناك فجوات أو اختلافات بين الأجيال (الآباء والأبناء) . وقد حاولنا تلخيص هذه الاختلافات في التالي:

(١) الاختلافات الثقافية: من المعلوم بالضرورة أن الثقافة بعناها السوسيولوجي والأنثروبولوجي تعني في ابسط تعاريفها "طريقة الحياة أو طريقة العيش للمجتمع" وفي بعض تعاريفها تعني ذلك الكل المركب من العادات والتقاليد والقيم والأخلاق والقانون والفن والآداب والمنتجات المادية الملموسة والمنتجات المعنوي للمجتمع وكل ما يكتسبه الفرد بوصفه عضوا في المجتمع. ومعلوم أن من صفات الثقافة الاستمرار والتراكم والتجديد والتنوع. من هذه المقدمة النظرية يتضح أن الاختلافات بين الأباء والأبناء مردّه في المحل الأول للاختلافات والمعطيات الثقافية، حيث أن المعطيات الثقافية للأباء تختلف عنها عند الأبناء، ويدخل في ذلك سرعة إيقاع الحياة اختلاف التفسير

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الاجتماعي لحركة ومعنى الحياة وما تشمل من الصداقة والوفاء والحب والمصلحة والقربى والمعاني ذات البعد العاطفي والنفسي والمشاعري للإنسان، ونظرة الفرد المادية لمجموع المعاني السابقة الذكر في الواقع المعاش. وفي الجانب الأخر نجد أن من المعطيات الثقافية المادية لحياة الأبناء المدخلات التكنولوجية والإلكترونيه، والفضائيات والمنتجات المادية الكثيرة التي دخلت عليه واختصرت الكثير من الوقت والجهد وبالتالي وجّهت الفرد والمجتمع نحو سلوك وممارسات معينة يقتضيها واقع الحال. من هذا نجد أن الأباء يتكلمون عن أشياء كانت عظيمة جدا في نفوسهم وثقيلة المسئولية واحتاجت إلى الكثير من الوقت، بينما نجد الأبناء لا تستغرق منهم سوى وقت قصير في واقعهم المعاش نظرا لتوفر الكثير من الوسائل المساعدة والتي أصبحت في متناول أيديهم، لذلك فهم ذوي ثقافة متنوعة ومتراكمة ومستجلبة من إنتاج مجتمعات أخرى بالإضافة إلى الثقافة الأصلية. هنا يمكن القول أن الجيل القادم ذو صفات ومميزات أقوى وأقدر لرسم المستقبل والنهوض بالمجتمع، لقدرتهم على استيعاب الثقافتين. وخلاصة القول أن الاختلافات الثقافية مردّها إلى الزيادة الثقافية لجيل الأبناء على الأباء .

(٢) الاختلافات التعليمية: تكمن الاختلافات التعليمية بين الآباء والأبناء في مستوى التحصيل التعليمي، من حيث الكم والنوع. فالنظرة للمجتمع السعودي (الأباء) نجد أن التحصيل التعليمي قيل وذلك نظر للظروف التي كان يعيشها المجتمع من القلة أو الندرة في بعض الأحيان، وفي المراحل اللاحقة كانت نوعية التعليم وجودته. وهنا نقول التعليم بنوعيه الرسمي وغير الرسمي، وكذلك الوظيفة الاجتماعية للتعليم، والمعنى الاجتماعي للتعليم. فمن ناحية التعليم الرسمي كان التعليم يقتصر على بعض المعارف المقررة في معناها الاجتماعي والديني وتأطر بالشكل الرسمي في التعليم العام، بمعنى أن معظم ما يدور في محتوى التعليم يؤكد على مجموعة القيم الاجتماعية التي يؤكد عليها التعليم غير الرسمي مثل التربية والتنشئة والتوجيه والإرشاد وغير ذلك، فهي في المحصلة النهائية لا تلامس واقع الحياة الاجتماعية. وفي مجال الأبناء نجد أن محتوى التعليم يؤكد على قضايا اجتماعية ملحة في واقع الحياة الاجتماعية، فمثلا (المرور، الأمن، السلامة، العمل، التأهيل، المستقبل، المجتمعات الخارجية، الرياضة، المنافسات،طرق ووسائل الحياة الهائئة، وغير ذلك) هذه المعاني يؤكد عليها التعليم بطرق وأساليب مختلفة، وتكون الأدوات فيها الأستاذ، الطالب، الكتاب، زملاء الدراسة، النظام العام القائم في المجتمع. يضاف إلى ذلك أساليب وطرق التعليم غير الرسمي، حيث أن جيل الأبناء لم يقتصر على طرق وأساليب الأسرة، ولكن تعدى ذلك إلى التلفاز، القنوات الفضائية، الصحف والمجلات الوافدة، الإنترنت، وكذلك السفر والسياحة ودخول الثقافات الوافدة بأشخاص أفراد، كخدم، ومربين، وغير ذلك من الوسائل التي أوجدت جيلا يختلف في ظاهره عن آبائه. وخلاصة القول أن الاختلافات التعليمية تمكن في المعنى الاجتماعي للتعليم والوظيفة الاجتماعية للتعليم والمستويات المتقدمة للتعليم الرسمي مضافا إليه التعدد والتنوع الكثير للتعليم غير الرسمي ووسائله وطرقه.

(٣) الاختلافات في التفسيرات الدينية لبعض جوانب الحياة الاجتماعية: *هذا الاختلاف بين جيل الأبناء والآباء، يكمن في كون الجيل السابق يعيش في نطاق بسيط لمعنى الحياة الاجتماعية، وهناك التزام شديد بالمعطيات الدينية المتوافقة مع المكان والزمان والقدرة العقلية والعملية لحياة أفراد المجتمع، وسعة وضيق الأفق للمعاني الدينية في الحياة الاجتماعية. فالمعاني الدينية المفسرة لجوانب الحياة الاجتماعية توافق المعطيات السابقة الذكر، ومن ثم فإن التفسير الديني لها أخذ وضعا اجتماعيا معينا وقولب وحُجّر، ثم لم يسمح بالخروج من هذا الوضع. كل ذلك كما قلنا يناسب المعطيات الاجتماعية والتاريخية والثقافية للمجتمع. أمّا الأبناء فإن معنى الحياة الاجتماعية أصبحت أكثر اتساعا، وتعددت المعاني والتفسيرات العملية للواقع الاجتماعية المتغير، ثم أخذ الأبناء يبحثون عن تفسيرات للكثير من المتغيرات والقضايا الاجتماعية والمستجدات في واقع الحياة اليومية المعاشة، ذلك أن التفسيرات الدينية للحياة الاجتماعية قبل التغير والتحديث والانفتاح المجتمعي على العالم الخارجي ودخول المجتمع مرحلة من التحول، لا تناسب هذا المجتمع*

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والجيل الجديد، وذلك للاختلافات في الأولويات وتناول القضايا وطرق حلها. وهذا لا يعني أن الجيل الجديد يبحث عن دين مختلف أو أنه أقل دينا أو التزاما أو إيمانا أو غير ذلك، ولكن هذا الجيل يبحث عن إجابات وتفسيرات تناسب الواقع الجديد والمتغير، خصوصا فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية فمثلا (نوع عمل، وتعليم، وحدود مساهمة، ومسئولية المرأة في نفسها وبيتها ومجتمعها، قضايا الشباب المختلفة، العلاقة مع المستجدات الداخلية والخارجية، فاعلية الفرد في المجتمع وحدود أهميته وهدفه في الحياة، طرق ووسائل المشاركة المجتمعية، علاقة الفرد بالآخر، وغير ذلك من القضايا الاجتماعية الكثيرة)، بينما كل هذه القضايا محسومة لدى الجيل السابق من خلال الكثير من المعطيات الاجتماعية وفي شكل قيم وعادات وتقاليد وسلوكيات لا تناقش وهي مقرر ثابتة.وخلاصة القول أن الاختلافات بين الأجيال في التفسيرات الدينية لجوانب الحيات الاجتماعية تكمن في أن الجيل السابق متكيف مع معطياته الثقافية بشكله البسيط وفعلها القوي، بينما الجيل اللاحق يشعر أن الحياة أوسع من هذه المعاني الضيقة وأن الدين الإسلامي اشمل وأكثر قدرة على استيعاب المستجدات فهو لا يقنع بما لدى الأباء من تفسيرات اجتماعية لمعنى بعض جوانب الحياة ويطالب العلماء والقيادات الفكرية والدينية بالمزيد العمل على إيجاد تفسيرات دينية لحركة الحياة اليومية المتغيرة لهم.

(ج) الاختلافات التربوية: *التربية والتعليم وجهان لعملة واحدة بوسائلها وطرقها ومحتواها الاجتماعي والنفسي والفكري والثقافي والأيديولوجي، لذلك فإذا اختلفت وسائل وطرق التعليم فإنه بالضرورة تختلف معها والوسائل التربوية، غير أن هناك فروق بين التربية الرسمية والتربية غير الرسمية وكذلك بين التعليم الرسمي وغير الرسمي، وذلك لاختلاف محتوى المادة الثقافية المقدمة للطفل (الفرد) واختلاف الزمان والمكان والأسلوب والطريقة والمنهج والبيئة التي تمارس فيها التربية والتعليم الرسمي وغير الرسمي. ففي مجتمع الآباء كانت التربية والتعليم الرسمية مقتصرة على مناهج وطرق ومواد علمية بسيطة تعطى لأبناء المجتمع من أجل إشباع جانب النقص في حياة المجتمع مثل القراءة والكتابة والإمامة والفتوى وغير ذلك، وفي الجانب غير الرسمي نجد أن هناك جد واجتهاد ومداومة وتعليم مستمر من قبل أفراد المجتمع لتعليم الأبناء على طريقة الحياة في المجتمع بجانبيها المادي والمعنوي، ففي الجانب المادي نجد أن الطفل يعمل مع والده ويساعده في عمله ويتعلم أصول وفروع وأسرار المهنة من الوالد بغرض العيش أولاً، والتمكن منها بغرض إثبات الذات ثانياً، والاستمرار في المهنة بعد الوالد ثالثًا. وفي الجانب المعنوي نجد أن العادات والتقاليد والأعراف بكل سلبياتها وإيجابياتها تغرس بقوة في ذوات الأطفال لتصبح الجزء الرئيسي في حياتهم، والذي لا يستطيعون أن يتخلوا عنه مهما كانت الظروف حتى ولو قصروا في بعض الجوانب الدينية، ولذلك لأن هذا الجانب في حياة الشعوب هو الجانب الذي يميّز الشخصية ويحفظ لها كيانها واستقرارها واستمرارها دون أن تذوب في الثقافات الأخرى مهما كانت تلك الثقافات متميزة أو مفيدة أو ذات فاعلية في متطلبات الحياة المادية اليومية.يضاف إلى ذلك أن هذا الجانب من الثقافة هو نتاج طبيعي للتفاعل الاجتماعي بين أفراد المجتمع ومجموعاته فالحفاظ عليه حفاظ على الهوية.*

والاختلاف البارز بين جيل الآباء والأبناء في مجال التربية والتعليم يمكن في تغير أولويات الحياة الاجتماعية في المجتمع وتغير مجرى الحياة اليومية، وذلك بدخول الثقافات والمنتجات المادية والتكنولوجية وكذلك المنتجات المعنوية من فكرية، وثقافية، وعلمية، وأدبية، وأعمال تلفزيونية، ودرامية، وعادات، وتقاليد، وأخلاق، وقيم، وغير ذلك الكثير. وفي الجانب الآخر تفاعل الفرد السعودي (الابن) مع منتجات المجتمعات الأخرى وتبنيها بشكل أو بأخر إما نتيجة للتقليد أو الصلاحية أو التجديد أو التغيير أو أي مفهوم يكون الفرد قد أقدم على التخلي عن المنتج الثقافي المحلي لصالح المستورد. وبالنظر إلى التعليم كمؤسسة تنظيمية أو المناهج ووسائل التعليم أو المحتوى العلمي والفكري أو الثقافي أو النفسي أو الاجتماعي للمواد التعليمية نجد أنها في الغالب تربط الفرد بمجتمع آخر وتنقله من واقعه إلى واقع مختلف أو أنه هناك، (ويبرز هذا في النظريات والمؤلفات والمنتجات الفكرية وفي صور التقدم العلمي وغيره الكثير). هذا الواقع لم يكن موجودا في جيل الآباء وإذا وجد فيكون من باب المعرفة العامة (المعرفة بالشيء) دون التفاعل المباشر معها، وهذا واضح في جيل الخمسينات والستينات والسبعينات الميلادية، حيث المعرفة دون التقمص العلني لها، والذي أراد التقمص العملي للمنتجات الثقافية في ذلك الجيل لم يستطع البقاء أو الاستمرار في المجتمع وسط سياجات ثقافية وشعبية يصعب الخروج منها أو تخطيها. غير أن هذه القضايا الأنفة الذكر

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والتي كانت تشكل حدودا فاصلة بين المجتمع والمجتمعات الأخرى في فترة زمنية معينة لم تعد هي نفسها في جيل الأبناء، ذلك أن الأبناء اصبحوا أكثر قابلية لتخطي الحواجز الاجتماعية، كما أن القاعدة الأساسية في بنائهم الثقافي والفكري والاجتماعي وحتى على مستوى بناء الشخصية أصبح مصاغا من خلال المنتج الثقافي المستورد وأكثر انفتاحا وتفاعلا مع المعطيات الإنسانية والعالمية دون النظر إلى المصدر، في الوقت الذي أصبحت فيه الثقافة الشعبية ضربا من التراث للفاكهة والاستمتاع في أوقات الراحة لمن يعشقها، ومن لا يهتم بثقافة ومنتج الأجداد يشعر بالضيق من صعوبة الحياة وصعوبة الكلام والفعل. وفي الوقت نفسه نجد أن الكثير من الآباء يكون حبيسا لمعطياته الاجتماعية والثقافية والتراثية ويحاول أن يفرضها على الجيل الجديد دون النظر للمتغيرات ودون استيعاب الواقع والرؤية المستقبلية فيقع مع ابنه في مشكلات قد تتطور وتصبح كوارث على الفرد والأسرة. من هذا نخلص إلى أن الاختلافات التربوية والتعليمية بين جيل الأبناء والآباء تكمن في محتوى وتوجهات وطرق وأساليب التربية الرسمية وغير الرسمية والتعليم الرسمي وغير الرسمي، فالمحتوى الاجتماعي والثقافي والفكري والنفسي للتربية والتعليم تختلف رغم أن الجذر الذي يقوم عليه المجتمع في طرق ووسائل التربية والتعليم واحد في الجيل الأول والثاني.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(٥) الاختلافات الفكرية: *عند قراءة التاريخ الاجتماعي والسياسي والفكري للمجتمع السعودي نجد أن المجتمع بشكل عام لم يتعرض لتغيرات جذرية أو عنيفة في جوانب الحياة الاجتماعية المختلفة، فقد عاش المجتمع السعودي قبل التوحيد وبعده بسلام مع نفسه وفي محيط ثقافته الفكرية والاجتماعية الموروثة. وقد مرت المجتمعات العربية والإسلامية للكثير من التقلبات الفكرية والأيديولوجية والسياسية التي تبعها تغيرات في البنى الاجتماعية أخرجت المجتمع من محتواه ونقلته صوب ثقافة المجتمعات المنقول منها تلك الأيديولوجيات والأفكار، و حاول الناقلون قطع الاتصال مع الثقافة الأصلية بحجة التخلف والرجعية. وبني المجتمع السعودي على دعامتين أساسيتين هما الدين الإسلامي بتفسيراته المتناسبة مع ثقافة وبيئة المجتمع، والدعامة الثانية التراث الفكري والشعبي والاجتماعي والسياسي والنفسي والوجداني العربي القديم وعبر التاريخ وصولا إلى تراث الآباء ومحصلة النتاج الثقافي لهم. من تلك الدعامتين نتج بناء فكريا للآباء يختلف عن البناء الفكري للأبناء، فجيل الأباء محدود التصور والرؤية للمستقبل بين المجتمعات، وقليل الخبرة في التفاعل مع الأفكار الواردة لأنه قد تبنى الإسلام منهج حياة واستعان بالتراث للتفسير الاجتماعي والنفسي لهذا المنهج بشكل أو بأخر، لذا فذلك الجيل لا يسعى صوب البحث عن البديل أو محاولة إثبات صحة الموجود بعرضه على الثقافات والأفكار الأخرى بغية تلاقح الأفكار والتعرف على الأخر والتقريب قد الإمكان بينه وبين الأخر أو التقرب من الأخر أو تصحيح المسار أو (المعاصرة) في شكل نبذ بعض المعطيات الاجتماعية والفكرية لصالح التصالح مع الأخر أو نبذ وصم (الرجعية). قد يكون بعض أبناء الجيل السابق يمارس هذا ولكنه لا يمثل الأغلبية. وهنا يمكن أن يفسر هذا بأن وسائل الاتصال لم تكن متوفرة بالشكل الذي يجعل التواصل بين الأفكار على مستوى عال أو قد يعبر عن ضعف المستوى التعليمي أو يمكن أن يعبر عنه بحماية الله سبحانه وتعالى للمجتمع ثقافة وجماعة وأفرادا وحكومة من الدخول في مستنقع أفكار الخمسينات والستينات. لذلك يمكن وصف المستوى الفكري للجيل السابق بالبساطة وعدم التعقيد والإيمان المطلق بالمعتقد والدفاع عنه بوعي وبغير وعي، يضاف إلى ذلك ضعف البنية الفكرية في محيطها الأيديولوجي مضافا إليه الالتزام الشديد بالمعطي الشعبي والموروث الذي يسير الفكر والسلوك وينبذ من يخالف ذلك وتسلخ منه الهوية الاجتماعية. وفي المقابل أن جيل الأبناء قد استوعبوا كل المعطيات السابقة لجيل والديهم مضافا إليها ما عرفوه من الفكر والسلوك والقيم والعادات المستوردة، واصبحوا أكثر احتكاكا بالمجتمعات الأخرى والتعرف على معطياتهم الثقافية والحضارية والفكرية، بل أن البعض من أبناء الجيل أخذ بالتفاعل مع ثقافات المجتمعات الأخرى وبدأ بعرض ما لديه من فكر ومعتقد وعادات وتقاليد وغير ذلك على أساس أنها ذات فاعلية عالية وتستحق التجربة في المجتمعات الأخرى. وفي المقابل نجد أن البعض من أبناء الجيل (خصوصا) من انتقل من القرية أو الهجرة أو البادية أو المدينة الصغير إلى مدينة أكبر أو إلى مجتمع أخر أو تعرض لتأثير ثقافات مغايرة دون المرور بالحياة الحضرية المتدرجة يعمق الفجوة بين ما لديه من معطيات فكرية بسيطة (بساطة المكان والزمان والبيئة) وبين ما استوعب من ثقافات الغير، فهو بذلك ينبذ القديم ويرى أن الجديد هو قاعدة الانطلاق دون العودة واستيعاب معطيات المجتمع. هذه بعض صور الحياة الفكرية للجيل الجديد فالاختلاف بين الجيل الجديد والقديم هو في حجم المعطيات الفكرية والثقافية والمادية. كما أنها تكمن في سعة المسطحات الفكرية والعقلية لدى الجيل الجديد مقارنة بالجيل القديم، ونحن نعلم أن لكل جيل ظروفه الخاصة ومحكاته المهمة التي يبنى عليها تفاعله مع المعطيات ورؤيته لنفسه وللمستقبل. ويمكن القول أن الاختلافات الفكرية بين جيل الأبناء والآباء يكمن في غزارة المعلومات وتنوعها وتعددها والنماذج القائمة بالفعل لتثبت مصداقية هذا الفكر أو ذلك، لذلك فالخيارات كثيرة والانتقاء صعب جدا. كما يمكن التشديد على نوعية البناء الفكرية (الأساس) للشاب أو الطفل السعودي ليكون قاعدة انطلاق للحكم والاختيار.*

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٦) الاختلافات في الممارسة والسلوك : *من المعلوم أن السلوك ليس سوى انعكاس المنتجات الثقافية في جانبها المعنوي في شكل أفعال وأقوال وتصرفات وممارسات للأفراد والجماعات في الواقع العملي المعاش لحياة الناس. فحينما تكون الجوانب المعنوية من ثقافة مجتمع ما ذات رصيد قوي والتزام اجتماعي به، فإن السلوك الناتج من هذا المجتمع أفرادا وجماعات سوف تكون قوية الصلة بهذا المنتج الثقافي وتعكسه على الواقع المعاش. فإذا رأينا ثقافة المجتمع السعودي في جانبها التراثي وجانبها الديني، نجد أنها (أي ثقافة المجتمع السعودي) ليست سوى مجموعة من التعاليم الدينية سواء كانت مباشرة أو تعاليم دينية في شكل أمثال شعبية أو شعر أو قصة أو أي منتج شعبي آخر يساق إلى أفراد المجتمع لضبط السلوك والتوجهات والأفعال الاجتماعية في عمومها وفي جانبيها السلبي والإيجابي. وهذا لا يعني أن المجتمع السعودي بعيد عن التأثر بالمجتمعات الأخرى، غير أنه في فترة زمنية سابقة يكون هذا التأثر وفق متطلبات وحاجات المجتمع، كما أنه يأخذ بضع الوقت حتى يصبح جزءا من ثقافة المجتمع، كما يأخذ مجموعة من المراحل ليدمج في تلك الثقافة. فمن المعلوم أنه لابد من الموافقة الدينية على السلوك أو الممارسة القادمة (الجديدة) وتكون هذه الموافقة الدينية ذات قبول اجتماعي، ومن ثم يكون أهل الرأي والمكانة الاجتماعية المكانات الأخرى أول من يقبل بها ثم يبرر قبولها ويشرح فوائدها وتلحظ الممارسة على الآخذين بها، ثم بعد ذلك يكون الأذن للجميع وعلى استحياء للقبول بهذا السلوك الجديد. لذلك فإن الجيل السابق (جيل الأباء) لا ينفك كثيرا من تلك الإجراءات السابقة رغم أن درجة التحرر منها لدى البعض أقوى من البعض الأخر، كما أن درجة التزام جيل الأباء اضعف من التزام جيل الأجداد وهكذا. أما بالنسبة لجيل الأبناء فالوضع يختلف عن من سبقهم ، فإذا نظرنا إلى المعطيات لجيل الأبناء نجدهم أكثر انفتاحا وأكثر اتصالا وأكثر اطلاعا على أحوال وسلوك المجتمعات الأخرى بالإضافة إلى سلوك وأحوال مجتمع الأباء والأجداد، فهذه مساحة واسعة من الإطلاع، وكمية كبيرة من المعطيات تتيح لهم الأخذ أو التقليد أو التجريب أو التقمص أو التبني أو المعرفة على الحد الأدنى. والملاحظ أن الاختلاف بين جيل الأباء والأبناء هو أن الأباء لديهم قدر كبير من المعطيات المجتمعية الإلزامية، وفي المقابل لديهم قدر ضئيل من المعطيات الثقافية الخارجية، وبذلك يطغى الالتزام بما وفرته لهم ثقافة المجتمع ويبقى أمر حتمي وعليه ضوابط قوية من ناحية الممارسة الفعلية وعدم التخلي. وفي المقابل تنعكس الصورة و وتصبح المدخلات الثقافية من المجتمعات الخارجية سواء كانت عربية أو إسلامية أو مغايرة أو معادية أو مسالمة، يكون أكبر من الثقافة الأصلية في عمليات التوصيل والتقمص والإدخال في عقول ووجدان وسلوك أبناء الجيل الجديد، وهذا ليس ضعفا في الثقافة الأصلية ولكن ضعف وسائط التوصل والتربية بوسائلها وطرقها ونماذجها وعلاماتها، سواء كانت رسمية، بمعنى مكتوبة وتلقن عن طريق الحفظ والتدريس والقوانين والأنظمة، أو غير رسمية، بمعنى التربية الأسرية والمجتمعية والاجتماعية في شكل العادات والتقاليد والقيم من خلال طرق التربية بالقدوة الأبوية أو نماذج تاريخية أو علامات الإشارة أو غيرها. وفي المقابل نجد كل ذلك موجود في البرامج والتوجيهات المصاغة مسبقا وموجهة إلينا (إلى الجيل اللاحق) فالنماذج متوفرة (فنانون، لاعبون، سياسيون، مفكرون، ...الخ) ووسائل الإيضاح ونماذج التوعية متوفرة وسهلة ومقبولة، بل أنها براقة وجذابة ومغرية وفي التشجيع ما يكفي لتبنيها من كل من يشاهدها من الأقران.*

وهنا يمكن القول أن الاختلاف بين جيل الأبناء والآباء التنوع في السلوك والممارسة المطروحة، والخيارات المتعددة، والنماذج الجاذبة، والقدرة على الالتزام بالمعطيات المجتمعية. فالجيل الجديد يتميز بقدر كبير من التنوع الثقافي ممزوجا بثقافته الأصلية وذلك على الرغم من استياء بعض الآباء من سلوكيات الأبناء والممارسات الخاطئة لهم.

(٧) الاختلافات الاجتماعية : تنظر المتخصصون في علم الاجتماع إلى التغير الاجتماعي على أنه تحول في البناء أو التنظيم الاجتماعي في فترة زمنية معينة، وهذا التغير يشمل التركيبة السكانية والطبقات الاجتماعية والمعايير والقيم والسلوكيات الاجتماعية والمؤسسات والتنظيمات الاجتماعية. فمن خلال التغير في التركيبة السكانية نجد أن المجتمع البسيط في تركيبه الاجتماعي وتكيفه مع ثقافته وموروثة التاريخي والشعبي تكيفا كاملا، قد فوجئ بالكثير من المدخلات الثقافية عن طريق الأعداد الكبيرة من الأفراد والجماعات البشرية الوافدة من مناطق مختلفة من العالم تحمل معها الكثير من المتغيرات والسلوكيات والعادات والتقاليد والقيم وغير ذلك من الجوانب الفكرية والأيديولوجية، ومن ثم أصبحت هذه المدخلات أمرا واقعا يحتم على أهل البلاد التعامل معه بالشكل الذي يناسب المجموع (الأصليون والوافدون) وهنا لابد وأن يتم التنازل من الجميع لمصلحة الحياة المشتركة والتفاعل المستمر. ثم لا يقف الأمر عند هذا الحد بل يتعدّاه إلى

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الاقتباس والاستعارة والاستقلاب والتبني بعد القناعة أو التأثير المباشر أو غير المباشر من خلال التفاعل على الأجيال اللاحقة، يضاف إليه ذلك الكم الهائل من المدخلات الاجتماعية عن طريق الوسائل الاتصالية المتنوعة والمتخصصة في نقل المنتجات الثقافية والفكرية وغيرها إلى أبناء المجتمعات النامية ومنها المجتمع السعودي. كل ذلك وغيره بدأ واضحا في تعامل الجيل الجديد مع المعطيات المجتمعية مثل الزواج وإجراءاته والاختيار وطريقة العيش والتعامل مع العناصر الاجتماعية المفروضة أو ذات القوة المؤثرة في الحياة الاجتماعية في فترة تاريخية سابقة. ويلاحظ أن الكثير من المقررات الاجتماعية السابقة والتي كانت في فترة زمنية سابقة عبارة عن (تابو) محرمات لا يجوز لأحد تجاوزها أو حتى مجرد التفكير في السؤال عنها، نجد أن الجيل الجديد قد تفاوت في التعامل معها فمنهم من تجاوزها كليا وبالتالي لم تعد جزءا من الثقافة السائد لديه بل من التراث الذي لا يستفاد منه فهو (تراث للتراث فقط)، والبعض الأخر قطع شوطا في التعامل معه وتجاوزه، وذلك بالاستعاضة عنه، أو بعض أجزائه، أو التعامل مع الجزء ونبذ الأخر، أو التعديل في بعض الإجراءات لتصبح موافقة مع الجديد ولا يفقد القديم. والبعض الأخر بقي في مكانه مع شعور عميق بالتذمر والمرارة والرغبة الأكيدة في التجاوز أو التجديد، غير أن الضغط الاجتماعي والتكوين الشخصي والصحبة والتنشئة وغير ذلك من العوائق الاقتصادية تمنع من التجاوز. وهناك الصورة الأخيرة من أبناء الجيل المتكل والذي لا يعنيه سوى ما يفيده شخصيا فهو بذلك لا يعير لأي شيء أهمية مادامت الرغبة مستجابة. هذه القضايا تشمل جملة ماله علاقة بالحياة الاجتماعية بدأ بالزواج وما يحمل من قضايا متعددة، والعلاقات الاجتماعية مع الأسرة والقرابة والجيران والتفاعل مع الآخرين، وانتهاء بالتعامل الشخصي مع الفرد نفسه، ونظرته لها في محيطها الاجتماعي.

كل ذلك كان نتيجة التغيرات التي طرأت على المجتمع وبنائه الاجتماعي في شكل قضايا معددة ومتنوعة متفرقة ومجتمعة شكلت في مجموعها اختلافا بين جيل الأمس وجيل اليوم. فجيل الأمس ملتزم بالمقررات والقواعد التي نظّمها وأقرها المجتمع لتصبح قاعدة الانطلاق في التفاعل مع الآخرين (سلومنا وعاداتنا وأعرافنا . . . .ألخ)، وبالتالي أصبحت إطارا مرجعيا للأفراد والجماعات داخل المجتمع، ويعود السبب في ذلك إلى التكيف الكامل مع الثقافة المقررة بسبب العزلة الاجتماعية والثقافية وضعف الاتصال ووسائله. ومن هنا يمكن القول أن الاختلافات الاجتماعية بين جيل الآباء والأبناء مردّه إلى الاختلاف في المعطيات. فالجيل الجديد لديه من التراث العربي والشعبي والإسلامي والعالمي والإنساني ما يمكنه من الاختيار من متعدد، لذا نجد الفروقات واضحة بين أبناء الجيل نتيجة لهذا التنوع. وفي المقابل فجيل الآباء الخيارات لديه محدودة والإطار الاجتماعي قوي ومحكم والمقررات يصعب تجاوزها . لذلك من المفيد القول أن أطر الأبناء على معطيات التراثية قد يولد نوعا من الانتكاسة غير المفيدة من جوانبها المختلفة.

(٨) الاختلافات في الطموحات والتطلعات:: من المعلوم أن الطموحات والتطلعات تكون نتيجة جملة من المدخلات الثقافية والخبرات الشخصية ونتيجة قدر كبير من الإطلاع على ما عند الغير. من ذلك نقول أن الطموحات والتطلعات تنقسم إلى قسمين الأول: الطموحات والتطلعات العامة التي يشترك فيها كل الأجيال ويسعى الجميع لتحقيقها . والقسم الثاني: هي الطموحات والتطلعات الشخصية التي تسعى كل فرد حسب قدرته وطاقته لتحقيقها . هذه الطموحات العامة يكون أساسها السعي لتحقيق بعض القضايا الأساسية المتكونة من خلال ثقافة المجتمع وهي قضايا اجتماعية أو دينية أو وطنية تكون كامنة في ضمير المجتمع ويسعى كل جيل إلى تحقيقها فإذا لم يستطع ينقلها إلى الجيل اللاحق علّه يحققها بوسائله ومعطياته التي قد تختلف عن الجيل السابق، مثال ذلك (قضية فلسطين، الدعوة لدين الله، الهوية

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العربية الإسلامية) . أو أنها قضايا مهمة يسعى كل جيل للمحافظة عليها من خلال التأكيد على أهميتها وتحقيها في الواقع بأسلوب كل جيل حسب المعطيات المتاحة وحسب الرؤية الواقعية والمستقبلية لكل جيل، مثل ذلك (الوحدة الوطنية، الالتزام بالدين الإسلامي، التخلي عن الفروقات المدمرة) . والقسم الثاني هو الطموحات والتطلعات على الصعيد الشخصي، وتكون وفق مقدار المعرفة المدخلة في عقل ووجدان وسلوك الفرد نفسه. فالمستوى التعليمي ونوع العمل والحي الذي يسكن فيه الفرد والأصدقاء والمعارف ونوع المعلومة التي تبحث عنها الفرد والقدرة الذهنية والجسمية والمحيط الأسري بالإضافة إلى وسائل الاتصال المختلفة وغير ذلك من المدخلات لها دور بارز ومهم في عملية تحديد الطموحات والتطلعات.فالاختلاف بين جيل الآباء والأبناء في مجال الطموحات والتطلعات، أن الجيل السابق يحدد طموحاته وآماله وتطلعاته من خلال المعطيات الثقافية للمجتمع ومن خلال المعارف العامة المكتسبة. ففي مجال الطموحات العامة تكون هذه الطموحات والتطلعات محدودة بحدود المعرفة المجتمعية لها، فهي في عمومها لا تخرج من إطار القبيلة أو البلدة أو العشيرة أو حتى العائلة. فالهموم والآمال تكون في هذا الإطار والسبب في ذلك هو أن المدخلات الثقافية والاجتماعية محدودة. وهذا لا يعني أن هناك بعض الأفراد أو الفئات من المجتمع خرجت من هذه القاعدة نتيجة لتوافر الأسباب المخرج لها، فمثلا السفر والتجارة البحث عن العيش أو طلب العلم والاحتكاك بالمجتمعات الأخرى كوّن حقيقة وواقع لدى هذه الفئة مختلف بقية المجتمع، وكانت ذات فاعلية في تفاعلها مع الأخر وكذلك في تنمية المجتمع وتحديثه. وفي مجال الطموحات والتطلعات الشخصية فهي (جيل الآباء) لا تبعد كثيرا عنها في الطموحات العامة وذلك لأن المدخلات واحدة، وبالتالي فإن المخرجات سوف تكون بالضرورة واحدة، ومن هذا فالطموحات سوف تكون على حجم وبساطة المجتمع، ويعود السبب في ذلك كما قلنا إلى العزلة المكانية والثقافية والاجتماعية وضعف الاتصال بالعالم الخارجي، وبالتالي بساطة هذه الطموحات والتطلعات والآمال والهموم بالنسبة للجيل اللاحق.أما بالنسبة لجيل الأبناء فنجد أن الحياة أصبحت أكثر تعقيدا وأكثر تشعبا وأطول في تحقيق المراد والمنى وذلك لكثرة العرض والطلب وصعوبة الاختيار وضعف قاعدة الانطلاق. وهذا يسبب نوعا من الحيرة والتشتت الذهني وعدم الثقة في المعروض سوى من خلال التجربة الشخصية والتي تختلف باختلاف المكان والزمان ونوع المنتج الثقافي. ومن هنا يمكن القول أن الاختلاف بين الجيل السابق و اللاحق يكمن في حدود الثقافة البسيطة والمعقدة وقوة وضعف نقطة الانطلاق.لذلك من المفيد البحث في ثقافة الجيل الجديد ومحاولة التوجيه والتغذية الفكرية والاجتماعية والثقافية حتى يتمكن الجيل من استيعاب معطيات الماضي والحاضر والسير نحو المستقبل بخطى الواثق.

(٩) الاختلافات في المعلوم والمجهول من الثقافة التقليدية والتراث الشعبي والتاريخي والواقع والمستقبل وحدود الجغرافيا: يؤكد المتخصصون في العلوم الاجتماعية على أن الفرد نتاج البيئة التي يعيش فيها، وهذا ملخص حديث النبي صلى الله عليه وسلم (ما من مولود إلاّ ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو تنصرانه أو يمجسانه) . من هذا الحديث الشريف وغيره من الأفكار الاجتماعية سواء كانت تفسيرية لفحوى هذا الحديث أو أنها خبرات فردية أو مجتمعية أو أنها أفكار مستوردة تدل في مجملها على معنى الحديث الشريف أو أنها خلاصة ثقافة الغير مهما كان هذا الغير ، فهي تدل على قضية مهمة جدا، وهي أن المعلوم من الثقافة التقليدية والتراث الشعبي والواقع والمستقبل والتاريخ والجغرافيا، وهو الذي يحدد معالم الشخصية فكل هذه الأشياء عبارة عن ما يسمى بالتنشئة وإعادة التنشئة الاجتماعية (socialization) و(re-socializatin) وهي عملية مستمرة مدى عمر الإنسان

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ليتعلم من الحياة ويختبر معلوماته ومدخلاته الثقافية من التاريخ والجغرافيا والثقافة التقليدية والشعبية في كل مرحلة من مراحل عمره أو في كل أزمة أو كارثة أو حاجة ملحة أو حتى وقت الراحة والمتعة والرخاء. يتعلم الإنسان من معطياته التاريخية ما تعينه على مواجهة المستقبل. فمثلا العرب والمسلمين يعيشون في حالة حرب دائمة مع اليهود والنصارى الأعداء الذين يتربصون بهم ويؤذونهم ويتآمرون عليهم في الليل والنهار (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين أن تبروهم وتقسطوا إليهم). ثم يأتي من يسوّغ أفعال اليهود والنصارى ويبرر ما يقومون به ويربط ذلك بالمصلحة والمستقبل وغير ذلك من الأدبيات التي هي في نهاية المطاف تأسيس لثقافة السلام والمصالحة التي يكون فيها الخاسر الأوحد مجتمعه وثقافته. ثم يقتنع البعض بهذه الفكرة ويسعى لها سعيها، ثم يحدث من العدوى (اليهودي أو النصراني أو غيره ما يسوء) فيلتفت للمخزون الثقافي ليتبناه فلا يجد له صدى أو جدوى أو فاعلية أو مصداقية والسبب في ذلك أن هذا التاريخ والثقافة والمخزون لم يعطى حقه وقت غرسه في قلوب وعقول الجيل وبهذا يبدأ العد العكسي للعودة للتاريخ واستلهام التراث وما تأتي من هذه العملية من الأخطاء الفادحة التي تستوجب مرة أخرى إعادة قراءة المجتمع والتاريخ والتراث والثقافة بأنواعها من جديد وهذا يستلزم البدء من الصفر مثل (الفلاح الكسلان والنملة). فالخلاف بين الجيل السابق واللاحق أن الجيل السابق كان يعمل من خلال منظومة من القيم الاجتماعية التي غرست فيه من خلال الدين والثقافة الشعبية استلهم الماضي وتعايش من الحاضر بنوع من الوعي المحدود الذي فرضته معطيات الواقع وجغرافيته المحدودة. غير أن هذه المحدودية في الزمان والمكان لم تكن يوما عائقا عن اللامحدودية في الفكر والأيديولوجيا (الهجرات، العمل والدعوة، المساعدات، النصرة)، فالمبدأ قائما ويغرس منذ الصغر دون أي شوائب، بهذا قُتِلَ بهم وعبر بهم وغزي بهم ونمي بهم وغير ذلك. أما الجيل اللاحق فقد كانت مصادر التلقي لديه كثيرة جدا وفيها من الأغراء والسطحية والنعومة والرعونة والسعة والكثرة والتنوع اللامحدودية والقابلية للتفسير المطلوب وغير ذلك مما يخلق نوع من الجيل الذي (في بعض الحيان) يحتار فيما لديه وينبذ الجميع. وفي نفس الوقت نجد أن مصادر التلقي الأساسية (الأسرة والمجتمع المحلي) في خصام دائم مع نفسه ومع المعطيات الكثيرة والتي لا يعلم أيها أفضل وأيها أقرب للجيل بل وله أيضا، فالبعض يرى أن تعليم التراث هو الأساس ومن ثم تبدأ مرحلة التلقي الخارجي، والبعض يرى أن هذا الجيل لديه من المقومات ما يجعله أكثر قدرة على التمييز والتقدير من الآباء، حتى لو كان ذلك بدون تدخل منهم. فالجيل السابق يرى أن المدخلات كثيرة جدا عليه ولم يستطع ملاحقتها ولم يستوعبها، وهو بذلك يعطي الجيل اللاحق أحقية الرهان على المستقبل دون الأساس الذي تعلمه هو. والجيل الجديد يرى أنه يغرق في معطيات الحاضر بما تملك من كميات هائلة من المعلومات والثقافات والأيديولوجيات وغير ذلك، لكنه لا يستطيع مواجهتها دون قاعة من الفكر والسلوك الذي يرتضيه ويكون في مستوى الواقع ومقنع لمن تبناه، فالجيل السابق لم يقدم هذه المعلومات الضرورية أو الفكر المنافس أو السلوك المثالي القابل للتفاوض عليه، غير أنه وبحكم النشأة والمولود والاسم والانتساب أخذ يبحث فلم يجد سوى الصور من التاريخ والأمثلة منه، ثم حاول البعض تبنيها ليكون هو المخرج والمنقذ، ومن هنا بدأ الصدام بينه وبين المجتمع بما يملك من مقومات العلمانية وغبارها وصور الحياة الحديثة. وفي المقابل نجد أن البعض أرخى العنان ثم ألقى به مطلقا فالتعليم الأساس كان في المدرسة لينتقل من صف إلى آخر وينجح في المدرسة والممارسة الفعلية على مستوى السلوك لا يكاد أن يفرق بينه وبين غيره من أبناء المجتمعات المغايرة، فالوله والشوق والحب والعشق والفراغ والإجازة والوقت وأسلوب الحياة في البيت والشارع ومع الأقران، كله تشير إلى عدم الانتماء أو حتى الاعتبار. فهذا الجيل في هوة بينه وبين واقعه يلقي بالملامة على الجيل السابق على عدم الاهتمام به ونقل المعلومة

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصحيحة في الوقت الصحيح وفي المكان الصحيح وبالأسلوب الصحيح لهم. إن الفرق بين الجيل السابق واللاحق هو في طريقة التلقي الجماعي فقط. حيث أن المجتمع السابق يصر على وحدة المجتمع في الفكرة والممارسة ويطبق ذلك على الجميع. في جيل اللاحق أخذ الكل يزعم المعرفة والوحدانية في الفكر والممارسة دون إشراك الجميع لشعور التميز. لذلك فمن المهم التأكيد على الثقافة المجتمعية التي يشترك فيها الجميع بأسلوب وطريق تناسب الجميع لتصبح قاعدة انطلاق للفكر والسلوك والممارسة.

(١٠) الاختلافات في الفرص الحياتية: في انتقال المجتمعات من مرحلة زمنية يتصف فيها المجتمع بنشاط اجتماعي واقتصادي معين، إلى مرحلة زمنية أخرى تختلف فيها الأولويات في حياة أفراد المجتمع لإختلاف الظروف الاقتصادية والسياسية وغيرها. فالجيل السابق وقبل الخطط التنموية الطموحة في المجتمع العربي السعودي كان يعتمد على الرعي والزراعة وبعض الخدمات المجتمعية البسيطة كالنجارة والحدادة والأعمال الخدمية الأخرى، وكان الأفراد يدركون أن العمل مع الوالد خصوصا في الأعمال الأساسية وتبني المهنة من الأمور المهمة في حياة المجتمع. وبهذا يكون الأفراد متكيفون مع ثقافتهم الاجتماعية وواقعهم الاجتماعي، وبهذا يكون البناء الاجتماعي بمكوناته للمجتمع متناسب مع معطيات الأفراد والثقافة. وهذا يفسر سر قوة التزام الأفراد بمعتقداته ومكوناته الاجتماعية والثقافية. ومع التغير الاجتماعي والاقتصادي الذي حدث في بنية المجتمع، اضطر الأفراد إلى الانتقال من الهجر والقرى ولأرياف إلى المدن والمراكز الحضرية، بحثا عن مستوى أفضل في مجالات الحياة المتنوعة. وبالانتقال هذا تخلى الكثير عن نوع التربية والتوجيه الذي كان يمارسه والده معه، حيث أنه انتقل إلى مجتمع مختلف في تكوينه الاجتماعي وخلفيته الثقافية والفكرية، كما أنه مختلف في نوعية الأعمال التي يحتاجها. ففي القرية مثلا كان المجتمع البسيط يحتاج إلى مجموعة من الأعمال التي خصص لها مجموعة من الأفراد وصنفوا على مر الزمن بهذه المهنة أو الحرفة، حتى أصبحت متوارثة بل أنها موصومة وموسومة بهذه الأسرة أو تلك، غير أن المناطق الحضري تختلف عن هذا فهي تحتاج لكل الفئات وكل التخصصات (من مبدأ تقسيم العمل والتخصص) ولا يهم كثير من تكون هذه الفئات في أعراقها أو طبقتها الاجتماعية مادامت تقدم خدمة تأخذ عليها أجر ، لذلك وجد في المدينة أن أبن المزارع أصبح ميكانيكيا أو طبيبا أو تاجر مستحضرات تجميلية أو متخصص فيها أو غير ذلك من الأعمال التي لم تعد مرتبطة بأصل أعمال الأسرة أو بتاريخها الاجتماعي أو المهني. فالفرص الوظيفية والحياتية التي تميز بها الأبناء تختلف في نوعها وفي كمها عن ما عند الآباء، وذلك يعود إلى التغير والانفتاح المجتمعي والاتصال بالعالم الخارجي والاقتباس من ثقافات الشعوب وخبراتها العملية، ثم اليقين أن الإنسان بما يقدمه من عمل لصالح مجتمعه وفترته الزمنية. ورغم أن هذه الفكرة أساسها الدين الإسلامي إلاّ أن الممارسة العملية لها من قبل الآباء كان محدودا إذا لم يكن معدوما وبذلك نقلت هذه الفكرة وهذا المبدأ من الغير. فالاختلاف بين الآباء والأبناء يكون في تناول الفكرة وممارستها من خلال المعطيات المادية والاجتماعية والنفسية للمرحلة التي يعيش فيها كل جيل. لذلك من المفيد القول أن محاولة إجبار الأبناء من قبل الآباء على تبني فكرة معينة أو سلوكا أو ممارسة قد تخالف التوجه العام للجيل أو لا يستطيع الفرد تحقيقها، عبارة عن الدخول في ذات الفرد وتحطيم شخصيته بدون الوعي المطلق بذلك ولكن بقصد الإصلاح والبحث عن المفيد له. وأختم بمقولة مأثورة لعمر بن الخطاب (معناها) علموا أولادكم لوقت غير وقتكم، فإذا علمتموهم لوقتكم حكمتم عليهم بالفشل.

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الموضوع الخامس
المجتمع السعودي والمؤسسات الاجتماعية

يتكون المجتمع من مجموعة من المؤسسات الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية، وتسهم هذه المؤسسات بما تحمل من وظيفة اجتماعية ودور مناط بها من قبل المجتمع، تسهم في بناء شخصية الفرد في المجتمع وذلك من خلال عمليات اجتماعية كثيرة منها التنشئة الأسرية والاجتماعية والمجتمعية ومنها الضوابط الرسمية من المحرمات والمنهيات والممنوعات وحكم القانون والنظام والتعليمات وغيرها ومضافا إليها ما يحرمه الإسلام وما ينهى عنه وما يحبذه وغير ذلك ما ارتضاه المجتمع ليكون عاملا مساعدا في عمليات التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي. يضاف إلى ذلك الضوابط غير الرسمية التي يتعلمها الفرد في البيت من والديه ومن الأهل والمدرسة والشارع ومن المؤسسات المتعددة في المجتمع وتدخل في إطار المعارف الاجتماعية مثل الحرام والحلال والحسن والقبيح و الذوق والحياء والعيب والأدب و المروّة والشهامة والرجولة وغير ذلك من القيم أو الضوابط المعنوية التي من شأنها تنسيق حياة الفرد وفق متطلبات المجتمع في إطار عملية التنشئة والضبط الاجتماعي وبناء الشخصية والإعداد لتحمل المسئولية. كل ذلك يكون في مرحلة مبكرة من حياة الفرد حتى يواجه مقتضيات الحياة الاجتماعية ومشاقها، وبذلك يكون الفرد عضوا صالحا في المجتمع ومتكيف تكيفا كليا مع ثقافة مجتمعه بما تحمل من قضايا وقيم وأفكار سواء رضي عنها أو لم يرضى عنها . وبعد هذه المرحلة من الإعداد يدفع به إلى المجتمع ليمارس الحياة الطبيعية وكأنه يحمل من السنين الكثير. هذا يؤكده التراث الشعبي بمختلف ألوانه، وهنا يقول الشاعر الشعبي:

إذا بلغ الفتى عشرين عام ما ينطح كثير من الموجبات

لا ترجيه إن كان حيّ ولا تبكيه إن كان مات.

غير أن الحديث عن هذه القيم القديمة في المجتمع أصبحت نوعا من الحديث في الماضي وعدم تطابقها مع الواقع المعاش، وخصوصا بعد التغير الهائل الذي مرّ به المجتمع السعودي في جميع مناحي الحياة، مضافا إليه الانفتاح المجتمعي من الخارج إلى الداخل ومن الداخل إلى الخارج، ومن ثم دخول الكثير من الثقافات وطرق الحياة لمجتمعات وتجمعات بشرية خارجية ذات اختلاف في الأصول والفروع. كل ذلك جعل المجتمع السعودي بثقافته وتاريخه وطريقة حياته وحركته الاجتماعية اليومية محل اهتمام المجتمعات الأخرى العربية والإسلامية وغير الإسلامية.

إن المجتمع العربي السعودي، في الفترة الأخيرة، بات من أكثر المجتمعات العربية والإسلامية تناولا من القراء والباحثين والمحللين والسياسيين، بين الحاقد والمحب، وفي جوانب متعددة من التعريض كالنقد والتجريح والمديح والقدوة الحسنة والمثال المحتذى وغير ذلك مما تنزف به أقلام الكتاب. وفي الوقت نفسه يقف الكاتب والباحث والمحلل السعودي موقفا أشبه بالمندهش مما يدور حوله من أحداث ومعطيات دون المشاركة الفاعلة فيها بما يحقق مصلحة وطنه من دفع للإساءة أو توضيح للحقيقة أو رد على المفتري، وذلك يعود لأسباب كثيرة من أبرزها شخصية الفرد السعودي المسلم المتسامح الذي لا يرضى بالإساءة للآخرين.(وما أروع ما تحدث به الأمير تركي الفيصل دفاعا عن المجتمع السعودي في قناة CNN).

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويمكن القول أن هذا الاندهاش من مواقف الغير وضعف الرد أو الحيرة في مواقفهم ومطالبهم ونظراتهم وغير ذلك من القضايا الواردة في هذا الإطار، أظن، أنه يعود إلى أسباب كثيرة منها ما يعود إلى قيم وعادات وتراث هذا المجتمع من عدم مقابلة الإساءة بالإحسان، ومنها ما يعود إلى بناء الشخصية السعودية من خلال الكثير من المعطيات الثقافية والتعليمية التي مفادها المسالمة أو سوف يدفع عنا البلاء بآخرين، ومنها ما يعود عدم القدرة على الرد والمواجهة من قبل المثقفين والإعلاميين والفعاليات الاجتماعية ذات الوزن في المجتمع، ومنها وما يعود إلى ضعف البناء في الشخصية من خلال التهميش على فترة طويلة من العمر .

من هنا في ،ظني، تبرز أهمية إيجاد مؤسسات مجتمعية تطوعية رديفة للمؤسسات الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية في المجتمع مثل الأسرة والمدرسة وغيرها، لأن المؤسسات الرديفة ذات عمل مجتمعي محتواه ثقافة ودين وتراث المجتمع يساق إلى الشباب بأسلوب مقبول يناسب العصر والتحديات التي تواجه أبناء المجتمع في الحاضر والمستقبل

موضوعات سوف يكتب فيها

- التحديث وأثره على بنية المجتمع السعودي
- دور الأسرة في المجتمع السعودي الحديث
- القيم الاجتماعية في المجتمع السعودي بين النظرية والتطبيق
- الطلاق ومشكلاته
- اتجاهات الشباب نحو بعض القضايا الاجتماعية المعيقة

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- صورة المرأة في التراث الاجتماعي السعودي
- الطفل السعودي وبناء الشخصية (دراسة في مكونات الشخصية السعودية)
- السلبيات والإيجابيات الاجتماعية لقصور الأفراح والمنتديات النسائية
- الانترنت . . . . مدخل ثقافي منفّس (دراسة اجتماعية لما يكتب في المنتديات)
- صورة الإنسان السعودي في خارج وطنه (دراسة في حالات الزواج من الخارج)

بسم الله الرحمن الرحيم

قراءة اجتماعية تحليلية لأحداث العنف والإرهاب

في الرياض

كتبها الدكتور/

سـليمان بن عبدالله العقيل أستاذ علم الاجتماع ـ جامعة الملك سعود

إن من الأولويات الرئيسة في الحياة الاجتماعية عبر مسيرتها، ووجود الإنسان على الأرض، أولوية الأمن في النفس والوطن والفكر والحياة، لذا فقد حثت كل الشرائع السماوية والقوانين الأرضية والإرث الثقافي والاجتماعي عبر الأجيال على هذه القضية في حياة الشعوب (قضية الأمن). من هنا كان الحديث عن أهميته من نافلة القول، ولكن الذي يجدر الحديث عنه هو العنف والإرهاب وترويع الآمنين بل وتهديد حياة الكثير من الناس بالخطر والموت. وإذا نظرنا إلى هذه القضية نجد أن لها جوانب عدة، وحديثي سوف يكون عن أحد هذه الجوانب فقط، لأني على يقين أن الكثير من أبناء هذا الوطن الحبيب قد قاموا بهذه المهمة على أكمل وجه. ويمكن تلخيص ما يمكن قوله في مجموعة نقاط هي كالتالي:

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولاً: الإرهاب والتطرف بنوعية قضية قديمة جديدة، وهي ظاهرة عالمية لا تخص شعب بعينه ولا مجتمع ولا توجد في ثقافة محددة، فهي توجد أينما: (١) يوجد الاختلاف ويشتد ويغذى بأفكار متطرفة.(٢) كما أنه يوجد حينما تنعدم وسائل الاتصال بين الفرقاء، (٣) أو تكون هذه الوسائل غير فاعلة أو ليست على مستوى جيد من القوة والحكمة والدراية والخبرة والمعرفة والحلم في توصيل المعومة بين الفرقاء.(٤) كما أنه يحدث حينما يتشدد كل طرف في رأيه ويحتكم الجميع (الفرقاء) إلى القوة.(٥) كما أنه يحدث عندما تغيب المرجعية الدينية التي لديها القدرة على رأب الصدع بين الفرقاء بالحكمة المعهودة لدى القيادة الدينية الأبوية. (٦) كما أنها توجد لسخط معين يمكن أن يزول بسهولة، غير أن العوامل الأخرى تغذيه وتزيد في الحنق والتطرف الذي يؤدي للعنف، ومن هذه العوامل الفقر، مستوى التعليم، عدم تكافؤ الفرص، الإحباط، سوء التعامل من قبل البعض، ضيق النفس، قلة الحيلة، عدم القدرة على التعبير، ضيق الأفق، مجهولية المستقبل، العزوبية، الفراغ، الصحبة ذات التوجه المعين، وغير ذلك من العوامل التي يمكن للمجتمع والدولة التعامل معها بشكل أكثر جدية من خلال تعاون كل فئات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية، والسلطة، وتشكل مجموعات عمل لوضع الحلول العملية المناسبة وانخراط الشباب بل وبقية فئات المجتمع فيها بشكل تنتظم معه الحياة الاجتماعية.

ثانياً: الإرهاب والعنف عملية نفسية اجتماعية تتلبس بالدين.(١) وتيسر أفكارها وسلوكها وسائر تفاعلاتها من خلاله، لأنه الأقوى ونتيجته مضمونه، فالكل يقوم بهذا العمل من أجل ولصالح الدين، وبذلك (في ظنهم) أنهم يكسبون الدنيا بالدفاع عن الدين ويكسبون الآخرة بالموت في سبيل الدين، (وكذا جاء اليهود إلى فلسطين وماتوا فيها بعدما ارهبوا أهله، وكذا الجماعات الدينية في الهند وغيره، وفي كل مكان من العالم). (٢) الحقيقة أن الإرهاب والتطرف ليس سوى عملية نفسية انعكاس لما ذكر من عوامل في (أولاً).

(٣) وعملية اجتماعية لأن المجتمع يمر بمرحلة من التحول الاجتماعي في جميع جوانبه، وهذا التغير، هو سنه الله في الكون والمجتمع، ومن علامات أن الحياة باقية وتسير كما أرد الله لها بعلمه المسبق.غير أن البعض لا يستطيع التوائم مع هذا التغير ولا يستطيع التكيف معه، وبالتالي يهاجمه ويحاربه بسلاح فاتك لا يستطيع أحد أن يقاومه، بل أن من يعترض يكون في عداد الكفار ويحل ماله ودمه، هذا السلاح هو الدين.على الرغم من أن الدين الإسلامي دين رحمة وسلام، ولكن الفهم المتشدد للدين يجعل منه سلاح فاعل.إن التغيرات الاجتماعية التي تحدث في المجتمع بشكل متلاحق قد تتجاوز فهم البعض، تجعل منهم على ثلاث حالات **الأول**: الاندماج السريع والمفرط في هذه التغيرات ومسابقتها، بل والتخيل أن هذا المجتمع (السعودي) تجاوز مداه وخلع عباءته ليكون مجتمعا علمانيا شديد التمسك بها، وهذا فهم خاطئ يجر الكثير من المشكلات للمجتمع وقد يكون سببا في بروز بعض الظواهر المخالفة بشدة، وتكون نواة للكره والإرهاب والعنف. **الثاني**: محاولة الاندماج في هذه التغيرات والتحولات، بشكل أكثر عقلانية وتروي مع الأخذ بعامل الزمن والصلاحية والتمحيص والتروي لما تأول إليه هذه التغيرات، بل وقياس وتقدير أثرها وشكل وحجم مظاهر هذه التغيرات في المستقبل، وهذه الفئة تكسب الجميع وتعطي فرصة كافية لجميع فئات المجتمع قياس أثر هذه التغيرات، وتوجهها من خلال فهمها لمجريات الواقع وعقليات هذه الفئات، وأظن أن هذه الفئة هي الكاسب الأكبر على الإطلاق. كما أظن أن هذه هي السمة العامة والغالبة على مجتمعنا السعودي بفئاته المختلفة. **الثالث**: الرفض الشديد والعداء المستحكم لهذه التغيرات، بل ومقاومتها بأشكال مختلفة تبدأ من الاستهتار بالمنتج الثقافي الخارجي وممارسته، بعكس ما تنص عليه تعليمات هذا المنتج (سيارة، آلة، مخطط، قيمة، لغة، أدب، فن أي شيء من المنتجات الثقافية المادية والمعنوية). وتنتهي بالحرب عليها من

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خلال معطيات دينية أو تعليمات ذات صبغة معينة. ويكون الفرض التام لمعطيات المجتمع الحديث بشكله ومحتواه، ومن ثم الهروب إلى الماضي البعيد أو القريب في التفسيرات والممارسات، غافلين عن حجم المجتمع والتركيبة السكانية والاتصال مع العالم الخارجي ونوع التعليم والتحديات الكثيرة التي يواجهها المجتمع. ولعم استطاعة هذه الفئة تحمل مجريات الحديثة، ولعدم وجود وسائل توعوية مفيدة وناجعة، ولعدم وجود حوارات مفتوح ومكثفة وواعية بين الفئات المجتمعية، ولعدم قرأت الإسلام وتعاليمه قرأت موضوعية (كما قرأها عمر بن الخطاب في عصره، والخلفاء الراشدين من بعده)، تظهر هذه النتوءات والانحرافات والمزاودات والحيص والبيص الذي يحار فيه الفكر وتحار فيه القدرة والإرادة.

ثالثاً: الإرهاب والعنف حالة ثقافية يعيشها البعض. (١) وهي بالضرورة نتيجة تراكمات من التصورات الثقافية الخاصة أو الفهم الخاطئ لمنتجات ثقافية تراثية أو دينية أو تاريخية أو مستوردات فكرية وثقافية من مجتمعات (٢) تعيش في حالة من عدم التوافق مع مجتمعها (٣) أو تعاني الكثير من الظلم والاضطهاد مما (٤)جعلها تختار نوع معين من التراث الديني والثقافي وتركز عليه وتؤكده وتتفاعل معه (٥) على أسس أنه الموجه في هذه المرحلة ومن ثم يصدّر لمجتمعات أخرى (باكستان قبل وبعيد الاستقلال، الثورة الإيرانية، الحالة المصرية وقت جمال عبد الناصر وبعده بفترة وجيزة، الحالة الجزائرية، الحالة الفلسطينية، وغيرها). (٦) وهذه الحالة لا نواجهها في المجتمع السعودي لأن المعطيات تختلف والمقدمات لهذا الفكر غير مقبولة، (٧) غير أن العيش فيها في حالة اللاشعور يمكن أن تكون موجودة مما يسبب بعض المشكلات، (٨) فالمقدمات خاطئة بالتالي النتائج خاطئة والخاسر هو حامل الفكر كفرد في المجتمع والمجتمع الذي وقع عليه الضرر. (٩) أو أنه قرأته أحادية لفكر معين ولأشخاص معينين في فترة تاريخية معين، يصعب مها التخلص نه، (١٠) لأنه ببساطة ليس لديه سوى هذا المنتج فقط، وإذا فقده، فقد ذاته وتكوينه الثقافي المتراكم. وهذه الحالة نواجهها في المجتمع السعودي وتقود إلى نوع من الانغلاق الفكري والأحادية في التوجيه والممارسة وبالتالي البناء الفكري المشابه للحالة لأبناء المجتمع. وهذا إعادة قرأت للمنتج الثقافي وإعادة قرأت للحلة الثقافية الراهنة ورؤية المستقبل من خلال الفعاليات المهمة في بناء المجتمع.

رابعاً: الإرهاب والعنف حالة شعورية وانفعالية. وهذه الحالة تعكس (١) ما يواجهه المجتمع الإسلامي والعربي بكل عام، فالناظر في أحوال العالم العربي يجد أن فلسطين لا تزال مغتصبة والعراق والصومال والسودان، والعالم الإسلامي من أفغانستان والفليبين واندونوسيا والبلقان وغيرها. نحن درسنا وتعلمنا أن هؤلاء مسلمون وهم اخوة لنا ودعمهم واجب وتقصي أحواله من الدين بالضرورة ونصرتهم أمر حتمي، غير أننا لم نتعلم كيف؟ ومتى؟ ولماذا؟ وعلى أي وجه؟ وتحت إمرة من؟ وهل هذا بإذن من ولي الأمر، أم أنه متروك لك بالشكل الذي تريده وبالطريقة التي ترى أنها مناسبة؟. والكثير من التساؤلات التي ليست لها إجابات سوى في أذان أهل العلم وفي عقولهم وتخرج هذه الإجابات في أوقات يكون الأمر معه عند بعض الفئات قد فات ويصعب التراجع عنه، أو أنه قد أصبح جزء من البناء الفكري للجماعة أو عمودها الفقري، بنقضه تهاوى الجماعة، وهذا أمر مرفوض من قبلهم.إذا لدينا خلل في التوجيه لقضايا كثيرة كانت من المسلمات أو أنها لم تشكل أزمة في فترة تاريخية سابقة. فالإرهاب والعنف في هذه الحالة ليس سوى استجابة تلقائية وشعورية وانفعالية لما يدور خارج الوطن وليس له علاقة بمحتوى الوطن الديني والاجتماعي. (٢) العمل الدعوي، وهو أحد الواجبات المهمة المناطة بالدولة والحكومة في المملكة العربية السعودي، كما تنص أحد فقرات النظام الأساسي للحكم.غير أن الممارسات التي يقوم بها البعض واستنادا

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على هذه الفقرة السابقة الذكر، قد تنافي روح هذا النص، والسبب أن العمل الدعوي جهد منظم وعقلاني ومعتمد مرجعية شرعية وفكرية ومصلحيه لأمن المجتمع وصيانته وحمايته من كل ما يمكن أن ينافي الشرع أو ارتكاب المحذورات علنا وتحديا للنص والشارع والمشرع وشعور الناس. هذه الرؤية الحقيقية للعمل الدعوي، غير أن الشعور الزائد بالمسئولية والانفعال والعاطفية الزائدة عن حدها تتجاوز هذا العمل الدعوي الشرعي العقلاني الذي يفيد مصلحة المجتمع إلى حمل الناس على تصور معين وبالقوة إذا وجب الأمر. ولا يدرك بعض المتحمسين والمنفعلين العاطفيين أن أمر الهدية ليست بأيديهم بل أنها بيد الله تعالى. هذا التحمس (ولو أنها ليس قضيتنا)،يصطدم بواقع مخالف لما يحمله ذلك الداعية، بل متناقض في بعض الأحيان، ومن كثرة القضايا والمتناقضات والمفاجآت التي يجدها بعض الدعاة والعاملين في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يصابون بنوع من الإحباط والمرارة، ومن ثم ينقل لبعض الفئات ذات الاتجاه الأحادي في التفكير والممارسة، بصور متلفة منها ما يكون بالتهويل، ومنها ما يكون بالإحباط، ومنها ما يكون باليأس وضرورة التغيير، ومنها ما يكون بطريقة الإيحاء والإسقاط، وغيرها من الطرق التي قد تكون مقصودة أو غير مقصودة، مما يدفع البعض من الفئات المتحمسة وذات العاطفة الشديدة للدين والمجتمع من الوصول لقناعات خاطئة مؤداها فساد وانحراف المجتمع وحكامه، وهذا يؤهل للدخول في مرحلة المواجهة

خامساً: **العنف والإرهاب يعني فقدان المرجعية**. لكل المجتمعات عدد المرجعيات الثقافية والدينية والسياسي والاجتماعية وغيرها، وتعمل هذه المرجعيات على توازن المجتمع وحفظه من الانحراف والوقوف له ومعه وقت الأزمات وفي أوقات الرخاء أيضا .والمرجعية دائما هي حالة عاطفية أبوية دينية ثقافية اجتماعية تنكر ذاتها ومصالحها من أجل الصالح العام، شديدة الحرص بعقلانية وحلم واناءة وهدوء وحب شديد غير متجاوز الحدود لشباب الأمة وأبنائها وولاة أمرها ومستقبله.ومع التغير والانفتاح على المجتمعات والاقتباس من الثقافات الأخرى، ورأى البعض في منتجات المجتمعات ما يمكن أن يغني عن أي من هذه المرجعيات بل وأفضل منها سواء كان ذلك في التنظيمات أو الجماعات أو الحريات أو الديموقراطيات أو غيرها، أو من حيث المكان الآمن للجوء. وفي نفس الوقت رأى البعض في الاتجاه الآخر أن المرجعيات المتوفرة، مع فضلها وعلمها، لكنها لا تمثلهم ولا تعكس رأيهم بل ولا يشعرون منها بمعنى المرجعية الحنون الناصح المحب والمدافع عنهم وعن أحلامهم وآمالهم وتطلعاتهم وآراءهم والمصحح والموجه والراعي والمرشد لهذا الاندفاع والحماس، ويرون أن المجتمعات الأخرى لها هذه المرجعية المنظمة، لأنها ذات اختيار وفرز شعبي اجمع عليه الناس وتعلق به الشباب. لهذا فإنني أظن أن المرجعية الدينية والاجتماعية التي يفرزها المجتمع وترعاها الدولة يمكن أن تكون أداة قوية ونافعة وناجعة من أجل وقاية المجتمع من الأخطار المحدقة وعلاج الكثير من المشكلات المعلقة والتي تدور في أذهان الشباب وتحتاج من يعمل على إخراجها والتعامل معها لتخليصهم من أوهام الفهم الخاطئ للدين والمجتمع والواقع والمستقبل، الذي ينبني عليه بالضرورة سلوك خاطئ وأضرار ومصائب للأبرياء والمجتمع وصورة الدين والناس والمجتمع والدولة في خارج الحدود .

سادساً: الإرهاب والعنف، حالة من اليقظة والحذر وقرأت المستقبل.قلت في أماكن كثيرة أننا نحتاج إلى قرأت صحيحة للمجتمع السعودي، وإعادة القراءة مرة أخرى، وذلك من أجل الخروج بنتائج مفيدة ومهمة مؤداها أن المجتمع متغير بشكل سريع، والمدخلات فيه كثر، ومادام بهذه الصفة فلا بد من أن يكون هناك درجة من التأثير في الجانبين السلبي والإيجابي. أما بالنسبة للتغير الإيجابي فهذه قضية مفيدة ومتوقعة، أما التأثير السلبي فالكثير لا يهتم بها ويراهن على أن مستوى التدين والخلفية الاجتماعية للمجتمع تحرسه من السلبيات، وأنه

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يستطيع تجاوزها، وأظن أن هذا هو مكمن الخطر، فعلى قدر التأثير الإيجابي وبحجمه يكون التأثير السلبي، وفي الغالب أن الظواهر النشاز في طرفيها التطرف والتحرر هي من الظواهر السلبية التي تؤهل لبعضها وتدعم بعضها وتكون ردود الأفعال من الطرفين هي الشرارة التي تؤذي المجتمع. فالقراءة الصحيحة للمجتمع تستعرض هذه المدخلات بسلبياتها وإيجابياتها وتضع حلولا مفيدة وحلولا رديفه وقراءات مستمرة للشأن الاجتماعي من جميع جوانبه، وتخرج بنتائج حول مسيرة المجتمع يشارك في كل الفئات والشرائح الاجتماعية، بل ويساعد الجميع الحكومة في تنفيذ مشروعاتها وسياساتها تجاه المجتمع ويكون ذلك من خلال وسائل وطرق متعددة منها التقليدي المفيد ومنها الحديث النافع. هذه العملية سوف تجعل المجتمع على قدر كبير من الحيطة والحذر مما يدور فيه ومن العناصر العربية والأفكار المريبة التي تروج دون سماع الرأي السعودي الشعبي والرسمي الحافظ لأمن واستقرار المجتمع. ومن ثم فإن هذه العملية هي الضمان الآمن نحو العبور للمستقبل دون تصدع أو ألم أو أذى وبوحدة وطنية متماسكة. ومن هنا نقول أن ما نشهده من العمليات الإرهابية ومن التطرف والعنف، ومن التفاف المجموع حول ولاة الأمر، وحرص ولاة الأمر الشديد على المجتمع والمواطنين، إنما هو تعبير عن استنكارهم لها وحبا لوطنهم وخوفا على مصلحته، ليست سوى حالة من اليقظة الحقيقية من أبناء المجتمع ومن المفروض استغلال هذه الحالة لتكون واقعا مستمرا نحو المستقبل. فالحالة الإرهابية والعنف عبارة عن حالة من اليقظة والحذر وقرأت المستقبل.

بسم الله الرحمن الرحيم

تأييداً لما نشرته جريد الرياض في عددها (١٠٦٠٦) على لسان معالي وزير المعارف حول دعوته لأقامة نظام للمناعة الثقافية للناشئة في المملكة

نظام المناعة الثقافية وصيانة المجتمع من خلال النظام التعليمي

د/سليمان بن عبد الله العقيل

يعد النظام التعليمي من أهم الانظمة في التنظيم الاجتماعي او البناء الاجتماعي لأي مجتمع من المجتمعات حيث يعتبر هو الوسيلة الرسمية والمباشرة المسؤلة عن نقل ثقافة وقيم وعادات وتقاليد وتراث المجتمع الى الاجيال اللاحقة، وهو أداة فعالة ايضا في تشكيل الاجيال وفي التأكيد على مجموعة القيم او المسؤلة عن اندثارها . كما انها الاداة الفعالة في عملية التبادل او الاحتكاك اوالاستعارة او النقل او الاستقلاب من المفاهيم والقيم والثقافات الاخرى للمجتمعات المختلفة، سواء كانت تلك المنقولات تتفق وخط المجتمع المنقول إليه او انها تختلف، وهذا الخط هو التوجه العام للمجتمع بما يشمل من الدين والقيم الاجتماعية والممارسات الاجتماعية المثقفة والبيئة الطبيعية والاجتماعية للمجتمع.

ومن نعم الله تبارك وتعالى على هذا الوطن ان جعل فيه رجال أمناء على كل ذكر سابقا، والحرص الشديد على التأكيد على مجمل الروح والقيم الفاعلة في المجتمع، ذلك لتنتج جيلاً قوي في جوانبه الشخصية المختلفة سواء كانت نفسية او اجتماعية او دينية، ولديه القدرة على التعبير عن رأيه، وكذا يعلم

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ماذا يريد وماهو المطلوب منه. ولقد لفت حيوية الوزير المقدام - وزير المعارف - د/محمد الرشيد واهتمامه الشديد بتلك القيم ومحاولة تنميتها في الشباب الناشئ، إذ جاء في جريدة الرياض عدد (١٠٦٠٦) يوم الثلاثاء الموافق ١٤١٨/٣/٤هـ مامفاده دعوة الوزير الى إقامة نظام للمناعة الثقافية للناشئة في المملكة بقصد مواجهة الطوفان العصري، وتطبيق الفضائل الاسلامية المستندة على أحول المجتمع السعودي والعقيدة الاسلامية. ولدي مجموعة من الاقتراحات او ان اعرضها على معالي الوزير، إذا كانت لديه الرغبة في تبني او تطوير او مناقشة تلك الاقتراحات. أقول: ان المدرسة أهم مؤسسة تعليمية في الاحياء او القرى بعد المسجد، وكل منهما يحمل نفس القيم وتساق الى ابناء الحي او القرية او المجتمع بطرق مختلفة. لذا فأود ان تكون المدرسة مصدراً يلتقي ويتلقى فيه الطلاب وبشكل مستمر اثناء الاجازة الاسبوعية او العطل الرسمية او الاجازة الصيفية من خلال مجموعة من البرامج التي توضع لهذا الغرض، وذلك بالتعاون مع مؤسسات اخرى في المجتمع ولها نفس التوجّه ونفس الغرض في خدمة المجتمع والفئة الشبابية بشكل خاص، مثل الرئاسة العامة لرعاية الشباب وكذلك وزارة الشئون الاسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد، إذ ان لديها اهتمام بالحفاظ على القيم الاسلامية واستمرار دعمها والتأكيد والدعوة اليها . وليس لدي شك من ان وزارة المعارف لديها معرفة أكيدة بمجموعة من الاساتذة الافاضل الذين لديهم الرغبة في العمل مع الشباب في أي وقت وفي أي مكان، لذا فإني اقترح ان يفرّغ بعض الاساتذة للاشراف ووضع البرامج لأيام الاربعاء مساءً وكذلك الخميس او الجمعة لقضاء اوقات الفراغ لدى الشباب، وكذلك الاجازات. وبحسب هذا الوقت من الدوام الرسمي كأن يعطى اجازة وسط الاسبوع بدلاً من يوم الخميس . . وهكذا. والصورة التنظيمية متروكة لإدارات التعليم المختصة او لجنة توضع لهذا الغرض. كما يتم الاتصال بالرئاسة العامة لرعاية الشباب ووزارة الشئون الاسلامية لندب او تفريغ البعض لهذا العمل. وفي ظني ان هذا المقترح سوف يساعد على حل بعض المشكلات التي يواجهها الشباب من اوقات الفراغ وكيفية قضاؤه في اماكن غير مأمونة وكذلك الاحتكاك بعناصر غير مرغوب فيها اجتماعيا اوغيره. ويمكن من خلال التجربة الاولى تتضح الصورة. بل انني ازعم ان للمراكز الصيفية دور مهم في الحفاظ على هذه الفئة الشبابية رغم بعض السلبيات التي قد تعترضها او تعرضت لها . ويرجح ان يقوم القطاع الخاص بالمشاركة والدعم المالي او المادي السخي في مثل هذه النشاطات التي تدعو للحفاظ على مقدرات الامة من الفئات الشبابية، وذلك عرفانا منه بالدور الضخم الذي تبذله الدولة في تعليم ابناءهم، كما انني أدعو الفعاليات الثقافية والدينية المستقلة دعم هذه الانواع من البرامج، وذلك للحفاظ على الشباب ومحاولة التوجيه بما يتوافق مع نظام المجتمع العام وبما يحفظ عليهم دينهم وخُلقهم وعقولهم وأمن واستقرار المجتمع.

د/ سليمان بن عبدالله العقيل

قسم الاجتماع - كلية الاداب - جامعة الملك سعود

ص.ب ٦٤٢٣٤ الرياض ١١٥٣٦

alakeel99@hotmail.com

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الضبط الاجتماعي ومعاقبة المخطئ

يتكون نظام الضبط الاجتماعي في المجتمع من قسمين رئيسيين، الاول هو الضبط الرسمي والثاني هو الضبط غير الرسمي. ويتكون الضبط الرسمي من مجموعة النظم والقوانين والتعليمات والمؤسسات والهيئات التي يستحدثها المجتمع او بيروقراطية الدولة، وذلك لتنظيم شؤون المجتمع بما يكفل للجميع التساوي في الحقوق والواجبات. وتختلف هذه التنظيمات والنظم من مجتمع لأخر ومن وقت لأخر، وذلك حسب الحاجة والظروف التي يمر بها المجتمع. فقد تتعقد او تتعدد او تتطور تلك الحاجات او انها تكون بشكل بسيط ويرجع ذلك لبساطة النظام العام للمجتمع وعلاقته بالمجتمعات الاخرى وللمستوى العام للافراد ولخطط التنمية وغيرها من الاختلافات.

اما بالنسبة للضبط غير الرسمي فهو ذلك الضبط المجتمعي الموروث الذي يتكون من مجموعة الاعراف والعادات والتقاليد والجوانب المعنوية الاخرى من الثقافة، والذي يمارسه المجتمع على افراده من خلال التنشئة الاجتماعية والتربية، او من خلال التفاعل الاجتماعي بين الافراد في المجموعة الاجتماعية ذات التوحد القيمي والثقافي ويستمر ذلك التفاعل حتى في مراحل عمرية متقدمة. ولأن هذا النوع من الضبط له قوة خارقة في التأثير وفي عملية التحكّم في اتجاهات الافراد وميولهم، فإن الجميع في المجموعات الاجتماعية يحرص على التأكيد عليه ويعمل على استمراريته. وفي ظني ان المجتمعات تتقدم في الجانب المادي وفقاً لما تحمل من معاني وعادات وتقاليد دافعة في الجانب الاجتماعي. فالخط الاول في المجتمع نحو التقدم او التخلّف هو الجانب الاجتماعي الذي تفتح الآفاق ويدفع بالفرد نحو العمل والابداع والطموح ويعتب او يؤنب او تعاقب من يتخلف عن الركب ويتهمه بالوصم الاجتماعي الذي يعيق مساره. لذا نجد ان في التراث الاسلامي الكثير من الحث على العمل الشريف الذي يحقق فيه الفرد ذاته ويفيد فيه المجتمع ويرضي به ربه، وفي التراث ايضا انكار المنكر ونصرة المظلوم وعدم التستر على المخطئ وغير ذلك. ولكن حينما لايهتم بأمر المجتمع، ولايحرص سوى على المصالح الشخصية ويكون الاهتمام منصبّاً على الافراد في الجماعات الاجتماعية او الجماعة الاجتماعية دون المصلحة العامة للمجتمع من أمنٍ واستقرار او دافعية او غيرها، فإن المجتمع سوف يجني ثمار هذا الاهتمام من خلال المشكلات التي قد يحدثها ذلك اللاهتمام الجزئي.

وبنظرة سريعة لمجتمعنا العربي السعودي في فترة زمنية معينة، نجد ان من يخطئ يعاقبه الجميع، فلا أحد يهتم به ولا يسلّم عليه، ناهيك عن الزواج من او له. وينسحب ذلك على اسرته واقربائه وتكون النتيجة (الجلوة) او مغادرة الديار. بينما نجد الصورة تختلف في وقتٍ نال فيه المجتمع جرء وافر من التحضر. فهاكم هذه الصور المتكررة: رجل يخرج من السجن بعد ان قضى مدة زمنية معينة حُكِم عليه فيها بالسجن نتيجة أفعاله الردئية التي تخل بالامن والاستقرار، ورجل يخرج من المستشفى بعد ان شفي من إدمان او مرض خبيث نتيجة عدم التزامه القواعد السليمة والصحيحة للسلوك، ورجل يأتي

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من السفر والكل يعلم لماذا سافر وماذا عمل هناك، فيستقبل بالحفاوة والترحيب، ويتسابق الكل للفوز بقبول دعوة الوليمة على شرفه تكريما للوصول او الخروج بالسلامة . وتدور بهم الولائم والكل يحاول ان يخطب ودهم، وفي المجالس يتبجح البعض منهم بما فعل كنوع من الافتخار وتلحظ في نفوسهم عدم الرغبة في الاقلاع عن ما سبق فعله . ان الصورة عكس الصورة السابقة للمجتمع، والتي يعاقب فيها المخطئ اجتماعياً .

PDF created with FinePrint pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com